دفاع الفاسي (ت :٦٥٦) عن القراءات المطعون عليها في (اللآلئ الفريدة)

إعداد الدكتور

جمعة حمدي سالم

مدرس القراءات بكلية القرآن الكريم بطنطا

دفاع الفاسي (ت:٦٥٦هـ) عن القراءات المطعون عليها في (اللآلئ الفريدة)

جمعة حمدي سالم

قسم القراءات كلية القرآن الكريم بطنطا – جامعة الأزهر – مصر

البريد الالكتروني : gomaasalem@azhar.edu.eg

الملخص :

شرف الدّفاع عن قراءات القرآن الكريم غاية لا يضاهيها غاية وهدفٌ سامي لأيِّ مسلمٍ غيورٍ على دينه محبٍّ للقرآن الكريم ، نال هذا الشرف الإمام الفاسي في كتابه (اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة) والذي قام فيه بشرح أبيات منظومة (حرز الأماني ووجه التهاني) المشهورة بالشاطبية للإمام الشاطبي – رحمه الله–، حيث ضمّنه مسائل متعلقة بالدفاع عن القراءات القرآنية المطعون عليها من أهل اللغة وغيرهم ، وقد كان الإمام الفاسي – رحمه الله – شديد الانتصار للقراءات المتواترة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

الكلمات المفتاحية: الفاسي – القراءات – اللآلئ الفريدة – المطاعن– دفاع

Defense of the Fassi (T: 656 AH) on the readings (The Challenged Ones (Unique Pearls

Gomaa Hamdi Salem
Department of Readings, College of the Holy Quran, Tanta – Al-Azhar University
Email: gomaasalem@azhar.edu.eg

Research Summary
The honor of defending the recitations of the Noble Qur'an is an end that cannot be matched by an objective and a lofty goal for any Muslim who is zealous about his religion and a lover of the Noble Qur'an This honor was won by Imam Al-Fassi in his book (Al-Lu'ala Al-Faridah fi Sharh Al-Qasida), in which he explained the verses of the system (Harz Al-amani wa Waj Al-Tahani) known as Al-Shatiby by Imam Al-Shatibi – may God have mercy on him –, where he included issues related to the defense of the Qur'anic readings that are challenged by the people of the language and others Imam al-Fassi – may God have mercy on him – was very victorious for the frequent readings from the Messenger of God – may God's prayers and peace be upon him–

key words: the Fassi – the readings– Unique Pearls–stabs – Defense

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين وبعد...

فإن علم القراءات القرآنية علمٌ آفاقه واسعة ودراسته ماتعة ومباحثه نافعة ، وكلّما تعمّق الباحث فيه وغاص في بحاره نهل من ثماره .

أهمية الموضوع

إن المعايشة مع ديباجة الإمام الفاسي – رحمه الله – (اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة) التي شرح فيها أبيات منظومة (حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع) والمعروفة بـ (الشاطبية) للإمام الشاطبي – رحمه الله – تمنح القارئ والمطّلع عليه مزيداً من الشوق للقرب أكثر وأكثر من صنيع هذا العالم الجليل .

إمامنا الفاسي – رحمه الله – كان له كلُّ الحقِّ في اختياره اسمَ ديباجته فعندما اختار لها اسم (اللآلئ) كان قاصداً لاختياره هذا المسمّى، وذلك لأنه أفاد الأمّة عامةً وأهلَ التخصّصِ خاصّة بدررٍ ثمينة قلّما توجد عند غيره من العلماء .

وأن يُتبِعَ الإمام الفاسي – رحمه الله – لفظ (اللآلئ) بلفظ (الفريدة) لهو سجيّة متوافقة لما حواه هذا المصنّف الكبير جعلت كلَّ من جاء بعده من العلماء يثنون عليه ويصفونه بلطيف العبارات ورقائق الجمل والكلمات .

كثيرٌ هم شرّاح الشاطبية المباركة لكنّ تميّز (اللآلئ) جعله (فريداً) بينهم عَلَماً لهم متميّزاً عنهم إماماً عندهم .

الإمام الفاسي – رحمه الله – أبدع أيَّما إبداع في مصنّفه هذا، لم يترك شاردةً ولا واردةَ حول أبيات المنظومة اللاميّة إلا وطاف حولها ، وأعطاها من الشرح حقَّها، وأسبغ عليها من التوجيه ما ينبغي لها ، فجاءت الديباجةُ جامعةً مانعةً .

لكنّ إبداع الإمام الفاسي – رحمه الله – في جانب الانتصار للقراءات المتواترة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ودفاعه عمّن طعن فيها أو لحّن بعضها أو نسبها إلى الغلط أو الخطأ جاء أكثرَ تميّزاً وإتقاناً وإبداعاً.

والحقّ أن شرح إمامنا الفاسي – رحمه الله – جاء مليئاً بالقراءات المطعون عليها من قبل علماء أهل اللغة وغيرهم ، ولعلّ الإمام الفاسي – رحمه الله – أدرك خطورة هذا الأمر فتعمّد إيداعَه مصنَّفه حتى ينتصر للقراءة المتواترة ويردّ قول من طعن فيها .

وقد أجاد الإمام الفاسي – رحمه الله في عرض القراءة المطعون عليها ودافع عنها بكل ما أوتى من علمٍ مستخدماً البراهين الواضحة والأدلة الصحيحة البيّنة في ثبوت القراءة وصحّتِها وعربيّتها .

وتنوّعت أدوات الإمام الفاسي – رحمه الله – في الانتصار للقراءة المطعون عليها والدفاع عنها لكنّه جعل العمدة والأصل الثابت والأساس الراسخ في كلّ دفاعاته عن القراءة هو التواتر، وفي كثير من المواضع كان يرى أن تواتر القراءة وصحَّتها وثبوتَها كافياً في ردّ كلٍّ من طعن فيها ، ومعه كلّ الحقّ في ذلك ، لأنه بالنظر إلى جُلّ القراءات التي طُعِنَ فيها وجدت أن أكثر الطاعنين فيها هم أهل اللغة ، وما طعنوا طعنَهم ولا ذكروا أقوالَهم إلا إنهم رأوا مخالفةَ القراءة لقواعدهم ، وكان ينبغي ألّا يفعلوا ذلك مع قراءات القرآن الكريم التي نُقلت عربية صحيحة ثابتة غاية في الفصاحة ، لأن هذه القواعد إنما وُضِعت بعد نزول القرآن الكريم الذي بلغ العلا في فصاحته، وكان ينبغي عليهم أيضاً أن يجعلوا القرآن الكريم المصدر الرئيس الذى تُسقى منه مادّتُهم وقواعدُهم ، ولا يُجرون القرآن الكريم على قواعدهم فما جاء منه موافقاً لقواعدهم قَبِلوه ، وما جاء مخالفاً ردّوه ولحّنوه .

وأهل اللغة مهما بلغ علمهم فهم لا يحصون كلَّ اللسان العربيّ فما يرونه ضعيفاً عند بعضهم قد يكون صحيحاً فصيحاً عند غيرهم لذا وجب عليهم التسليم بالقراءة مهما خالفت قواعدَهم لأنها نُقلت من طرق متعددة متواترة صحيحة السلسلة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –.

ولم يكتفِ إمامنا الفاسي – رحمه الله – بتواتر القراءة في ردع من طعن فيها لكنّه دافع عنها بطرق متعدّدة، فمرّة يدافع عن القراءة من ناحية قوة معناها ووجهها التفسيريّ ، ومرّة يدافع عنها لوضوح وجهها الإعرابي، ومرّة ينتصر لها لجريانها على

اللسان العربي شعراً أو نثراً ، وفي مواضعَ عديدة يرى أن ورود مثل القراءة في لهجات أحد القبائل العربية خيرُ شاهدٍ على صحّتها ودحض من ينكرها، كذا امتلأ شرحه (اللآلئ الفريدة) بالعديد من دفاعاته المتمثّلة في كون القراءة موافقة لرسم أحد المصاحف العثمانية وهو أيضاً من الأدلة القوية على ثبوت القراءة وصحّتها .

أسباب اختيار الموضوع

بعد قراءة متأنّية في كتاب (اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة) وجدتُ أن الإمام الفاسي – رحمه الله – اعتنى عنايةً فائقةً بالقراءات المطعون عليها وكيف أنّ هذه القراءات تحتاج من يدافع عنها وينتصر لها ويردُّ قولَ من يصفها بلحنٍ أو يتّهمها بضعف في اللغة ، أو مخالفةٍ لوجهٍ من وجوه العربية .

وقد اهتمّ الإمام الفاسي – رحمه الله – اهتماماً كبيراً بهذه القضايا وامتلأ شرحه بها ، وقد رأى بثاقب نظره أنها تحتاج إلى من يبرزها ، ويدفع شبهة من قد تلتبس عليه ، ويوجّهها توجيهاً يليق بها يثبت صحتها ويؤكّد عربيّتها ويظهر معانيها فيحيط القراءة بكلّ ما يتعلّق بها لغةً وإعراباً ورسماً وتفسيراً .

ولما رأيت انتصار الإمام الفاسي – رحمه الله – للقراءات المطعون عليها ، ودفاعه القويّ عنها ، وكبحَ جماح المنكرين لها والمضعّفين وجهها أحببت إبراز هذا العمل في بحث يُظهر هذا الجانب من شرح الإمام الفاسي – رحمه الله – ويُلقي الضوء على مواضعَ عديدة لقراءات متواترةٍ طعن فيها النّحاةُ وغيرُهم ، كما أن أهمية كتاب (اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة) عند أهل فنّ علم القراءات كان سبباً رئيساً في اختيار الموضوع لاعتماد كثيرٍ من العلماء وشرّاح الشاطبية والباحثين والمدقّقين وغيرهم على هذا السِّفْر الجليل الذي يُعدُّ بحقٍّ موسوعةً علميةً متميزةً في بابها فريدةً من نوعها متفردةً عن غيرها من مصنّفات هذا العلم الجليل .

وهناك أسباب أخرى منها :

أولاً : الشغف المتأصّل في الوجدان وهو الانتصار لكل حرف من كتاب الله فضلاً عن كلماته وآياته وقراءاته ، ونيل الشرف الأعظم بالوقوف ولو خلف الصفوف المدافعة عن المصدر الأول للتشريع وهو القرآن الكريم .

ثانياً : شخصية الإمام الفاسي – رحمه الله – السابق عصرهِ المدافع عن كتاب ربِّه المنتصر لآيات القرآن الكريم وحروفه .

ثالثاً : شرح الإمام الفاسي (اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة) المتفرّد في بابه، الجامع لفنونٍ عدّة ، الشامل لعلوم نافعة ، حيث لم يكن شرحاً مختصراً بل عمِدَ صاحبُه إيداع شرحه ثلّةً متنوعة من الثقافات تثري القارئ اللغويّ والتفسيريّ والقرائي وغيرهم .

رابعاً : أن أمر الطعن في قراءات القرآن الكريم قديمٌ ومتأرجحٌ بين بعضٍ من أهل اللغة من ناحية وبين المستشرقين المتصيّدين من ناحية أخرى ، وظلّ هذا الأمر موروثاً بينهم إلى يومنا هذا فهي سلسلةٌ متصلةٌ بين الطاعن والمنتصر وتحتاج في كل وقتٍ من يجدّدُ دفاعها وينتصر لها ويُرسِّخ قواعد الفهم الجيّد والقوّة الثابتة الصّلبة لقراءات القرآن الكريم المتواترة وصحتها لغةً ومعنىً .

لكلّ هذه الأسباب وغيرها آثرت إقامةَ عملٍ يبرز جهودَ الإمام الفاسي – رحمه الله – في هذا الجانب من ديباجته (اللآلئ الفريدة) .

وأسأل الله القدير أن ينفع بهذا العمل وأن يجعله ثقيلاً في الميزان وأن يرفع به الدرجات في الجنان وأن يكون خالصاً لوجه الكريم المنّان– اللهم آمين – .

الدراسات السابقة

كثيرة هي المصنّفات في علم القراءات القرآنية بفنونه المتنوعة، وكثيرةٌ أيضاً التآليف في الدفاع عن القرآن الكريم والانتصار لقراءاته المتواترة، لكنّ إفراد جهود إمام بعينه في الدفاع عن القراءات المطعون عليها لم تبلغ مرتبةَ سابقيه في الكثرة ، وقد شرعت في إبراز جهود الإمام الفاسي – رحمه الله – في الدفاع عن القراءات المتواترة في بحثٍ مستقلٍّ، ولم تكن أدوات البحث عن دراسةٍ سابقةٍ تحاكي هذا البحث تلوح في الأفق لذا وبعد بُعْدِ مسافة ليست بالقريبة من جريان القلم على صحيفة البحث أخذتْني الأمانة العلمية في المقام الأول، وأخذني الفضول في وقت

السّعة أن أبحث عن عنوانٍ يحاكي عنوان بحثي على الشبكة العنكبوتية وقد ساقني البحث إلى وجود بحثين قريبين :

أحدهما : (معالم التوجيه عند الإمام أبى عبد الله الفاسي من خلال كتابه اللآليء الفريدة في شرح القصيدة) للدكتور الصافي صلاح الصافي – جامعة الأزهر – ، ولم أطّلعْ عليه وهو موجود ضمن سيرته الذاتية الموجودة على الإنترنت، لكنّ عنوانه يُظهِر فحواه ، فبَعُدَ بحثي من هذه الناحية .

ثانيهما : (الإمام الفاسي ومنهجه في الدفاع عن القراءات المتواترة من خلال شرحه على الشاطبية) للدكتور هاشم بن محمد بالخير – جامعة جدة – والناظر في عنوان هذا البحث يتعجب عجباً شديداً لشدة تقارب عنوان هذا البحث مع عنوان بحثي ، ما دفعني إلى طمس ومحو ما كتبت ، ومن توفيق الله لي وحسن الطّالع أنّ هذا الكتاب متاحٌ تحميله بصيغة (pdf) لذا اطّلعت عليه وقرأته بعناية وقارنته بما جاء في بحثي فوجدتّه مغايراً عنه كما أن فحْواه ليست كفحوى بحثي ، وهما بعيدان كلّ البعد عن بعضهما من ناحية مادتهما العلمية وتقسيمهما وتناول موضوعاتهما بل وطرح أمثلتهما، ومن أراد أن يضع البحثين في ميزان البحث العلمي والأمانة العلمية فهذا رابط موقع تحميل البحث المشابه :

https://bfsa.journals.ekb.eg/article_27241.html

ولست في مجال مدحٍ للبحث المشابه أو نقدٍ له حتى أصف ما فيه من محتوى وأبرز جوانبه وأكثر ما أستطيع قوله : إنّ بحثي منه براء ، وسأرفق بحثي تقريراً علمياً يوضح الفرق بين البحثين .

وجاءت خطّة البحث مقسّمةً على النحو التالي :

- **ملخّص البحث .**
- **المقدمة .**
- **أهمية الموضوع .**
- **الدراسات السابقة .**
- **خطة البحث .**

- **منهج البحث .**

المبحث الأول : التعريف بالإمام الفاسي – رحمه الله – وتحته عدة مطالب :

المطلب الأول : اسمه ، وكنيته ، ولقبه .

المطلب الثاني : مولده ، ونشأته .

المطلب الثالث : شيوخ الإمام الفاسي – رحمه الله – .

المطلب الرابع : تلاميذ الإمام الفاسي – رحمه الله – .

المطلب الخامس : مؤلفات الإمام الفاسي – رحمه الله – .

المطلب السادس : ثناء العلماء على الإمام الفاسي – رحمه الله – .

المطلب السابع : كتاب (اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة) للإمام الفاسي – رحمه الله – .

المطلب الثامن : وفاة الإمام الفاسي – رحمه الله – .

المبحث الثاني : دفاع الإمام الفاسي – رحمه الله – عن القراءات المتواترة المطعون عليها ، وتحته عدة مطالب :

المطلب الأول : دفاع الإمام الفاسي عن قراءة إدغام الضاد في الشين في قوله تعالى : ﴿ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ ﴾ [١] .

المطلب الثاني : دفاع الإمام الفاسي عن قراءة الإسكان وكسر الهاء من غير صلة في قوله تعالى: چ ي چ [٢] .

المطلب الثالث : دفاع الإمام الفاسي عن قراءة " **أَرجِئْهِ** "[٣] بإسكان الهمز وكسر الهاء وعدم صلتها .

المطلب الرابع : دفاعه عن قراءة إسكان العين من لفظ " نعْمّا "

في قوله تعالى:﴿ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ [٤] وكذا قوله تعالى ﴿ نِعِمَّا يَعِظُكُم ﴾ [٥] .

---

(١) سورة النور من الآية : ٦٢ .
(٢) سورة النور من الآية :٥٢ .
(٣) سورة الأعراف من الآية :١١١ .
(٤) سورة البقرة من الآية : ٢٧١ .
(٥) سورة النساء من الآية :٥٨.

المطلب الخامس : دفاع الإمام الفاسي عن قراءة حمزة " والأرحامِ " بالخفض من قوله تعالى " تساءلون به والأرحامَ " .

المطلب السادس : دفاع الإمام الفاسي عن قراءة " إن صدوكم عن المسجد الحرام " بكسر الهمزة .

المطلب السابع : دفاع الإمام الفاسي عن قراءة : "عَبُد الطاغوتِ" بضم الباء من "عَبُد" وجرّ التاء من "الطاغوتِ" .

المطلب الثامن : دفاع الإمام الفاسي عن قراءة "بالغُدوة والعشي " بضم الغين وبواو مكان الألف .

المطلب التاسع : دفاع الإمام الفاسي عن قراءة " أرآيت " بإبدال الهمزة الثانية ألفاً مع المد .

المطلب العاشر : دفاع الإمام الفاسي عن قراءة : "ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا" ، بياء الغيب فى لفظ "يحسبن" .

المطلب الحادي عشر : دفاع الإمام الفاسي عن قراءة " بمصرخيّ" ، بكسر الياء من "مصرخيِّ" .

المطلب الثاني عشر : دفاع الإمام الفاسي عن قراءة " فما اسطّاعوا " بتشديد الطاء من لفظ " اسطّاعوا " .

المطلب الثالث عشر : دفاع الإمام الفاسي عن قراءة " وكذلك نُجِّى المؤمنين " بحذف النون الثانية وتشديد الجيم .

وقد أردفت البحث بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث ، أتبعتها بأهم المصادر والمراجع التي استقى البحث منها مادّته العلمية ، ثم الفهارس المنظّمة للبحث .

منهج البحث

امتلأ كتاب " اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة " للإمام الفاسي – رحمه الله – بالعديد من القراءات المتواترة المطعون عليها ، وقد انتصر لها الإمام الفاسي

بأساليبَ عدّة، وقد آثرت عرض نماذجَ منها والطّواف حولها لكثرتها متّبعاً المنهج الوصفيّ الذي يقوم على التحليل والدراسة لهذه الأمثلة .

وجمْعُ كلّ المواضع في بحثٍ مستقلٍّ بها عملٌ أقصده يأتي في قابل الأيام إن يسّر الرحمن واتّسع الوقت والزمان .

المبحث الأول

التعريف بالإمام الفاسي رحمه الله

وتحته عدة مطالب :

المطلب الأول : اسمه ، وكنيته ، ولقبه .

أولا : اسم الإمام الفاسي :

هو : هو جمال الدين محمد بن حسن بن محمد بن يوسف بن إبراهيم بن جران المقرئ ، يعرف بالفاسي.[١] [٢] .

وقد ذكر الحافظ ابن كثير أن اسمه : القاسم ، فقال : " وقيل إن اسمه القاسم، مات بِحَلَبَ، وَكَانَ عَالِمًا فَاضِلًا فِي الْعَرَبِيَّةِ وَالْقِرَاءَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَقَدْ أَجَادَ فِي شَرْحِهِ لِلشَّاطِبِيَّةِ وَأَفَادَ، وَاسْتَحْسَنَهُ الشَّيْخُ شِهَابُ الدِّينِ أَبُو شَامَةَ شَارِحُهَا أَيْضًا " [٣] ، وما ذكره الحافظ ابن كثير فيه نظر وهو انفراد منه ، وذلك لأن كل المترجمين للإمام الفاسي ذكروا أن اسمه : محمد .

ثانيا : كنية الإمام الفاسي

بالاستقراء في كتب التراجم التي ترجمت للإمام الفاسي P وجدت أنه كني بـ (أبي عبد الله) ، وقد اشتهر بهذه الكنية حسبما ذكر الحافظ ابن كثير [٤] .

ثالثا :لقب الإمام الفاسي :

لقب الإمام الفاسي بلقبين اشتهر بهما وهما :

الفاسي : وذلك نسبة إلى المدينة التي ولد بها .

نزيل حلب : وذلك أيضاً لأنه نزل هذه المدينة واستوطن بها وتوفي بها أيضاً.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣٦١/٢٣ ، ومعجم المؤلفين ٢٣٠/٩ ، والأعلام ٨٦/٦.
(٢) كذا ترجم الإمام الفاسي لنفسه في الورقة (٤١١) ، وقال : " هكذا وجدت التعريف به بخط بعض كبار الشيوخ الأندلسيين".
(٣) البداية والنهاية لابن كثير ١٣ / ٢١٧ .
(٤) البداية والنهاية لابن كثير ١٣ / ٢١٧ .

المطلب الثاني

مولد الإمام الفاسي ونشأته

أولا : مولد الإمام الفاسي :

ولد الإمام الفاسي في مدينة فاس بالمغرب[١]سنة نيف وثمانين وخمسمائة، وقدم مصر بعد موت أبي الجود[٢].

وقال الشيخ رضا كحالة – رحمه الله –:" محمد بن حسن بن محمد بن يوسف الفاسي (جمال الدين، أبو عبد الله) مقرئ، فقيه، أصولي. ولد بفاس بعد سنة ٥٨٠ هـ، وقدم مصر، واستوطن حلب[٣]"[٤]

ولم يحدد أحد من المترجمين له سنة مولده بالتحديد سوى خير الدين الزركلي في الأعلام حيث حدّدها سنة(٥٨٩هـ) الموافق لعام (١١٩٣ م) من الميلاد . [٥]

ثانيا : نشأة الإمام الفاسي :

نشأ الإمام الفاسي – رحمه الله – نشأة علمية صحيحة فقد درس علوماً كثيرة وتلقى العلم بمختلف فنونه وتنوع مدارسه على كبار العلماء في المغرب ومصر والشام ، فدرس القراءات والرسم العثماني والحديث الشريف والعربية واللغة والخط

(١) فاس :هي ثاني أكبر مدن المغرب بعد الدار البيضاء، تأسست مدينة فاس ١٨٢ هجري/ ٤ يناير ٧٨٩ (منذ ١٢٣٢ سنة)، على يد إدريس الثاني الذي جعلها عاصمة الدولة الإدريسية بالمغرب .معجم البلدان لياقوت الحموي ٢٣٠/٤ .

(٢) غاية النهاية لابن الجزري ٢ / ١٢٢.

(٣) حلب : هي مدينة في سوريا وهي مركز محافظة حلب التي تعد أكبر المحافظات السورية من ناحية تعداد السكان، مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات طيبة الهواء صحيحة الأديم والماء، قال الزّجّاجي: سمّيت حلب لأن إبراهيم، عليه السلام، كان يحلب فيها غنمه في الجمعات ويتصدّق به فيقول الفقراء حلب حلب، فسمي به. معجم البلدان ٢/ ٢٨٢ .

(٤) معجم المؤلفين ٩ / ٢٢٠ .

(٥) الأعلام للزركلي ٦ / ٨٦ .

والفقه ، كما تصدّر للإقراء، وقد نزل بمدينة حلب وَبهَا تفقه على مَذْهَب أبي حنيفَة – رَضِي الله عَنهُ – .

وقد ساعَدَ هذا الجوُّ العلميُّ الذى تميّز به الشيخ أن يبرعَ في علم القراءات وما يتعلق به، وينشأ نشأةً علميّةً صحيحةً قويمةً .

ومع رحلات الإمام الفاسي إلى مصر وحلب وغيرهما من البلدان الإسلامية وقراءته على كثير من الشيوخ ، وقراءة كثير من طلابه بين يديه إلا أن أحداً من تلامذته لم يكتب شيئاً عن نشأة الشيخ الفاسي العلمية ، ولا عن حياته .

كما لم تكتب المصادر التي ترجمت للشيخ الفاسي شيئاً عن أسرته، كما لم تترجم لأحدٍ منهم ، لذا كان من الصعب معرفة بدايات الشيخ الفاسي العلمية ، وهل كان أبوه يصحبه في حلقات العلم ، وفي أي وقت أتمّ حفظ القرآن الكريم ، ومتى سافر إلى البلاد التي تلقّى بها العلم ، والسنّ الذي أخذ فيه عن الشيوخ ، والمهنة التي كان يعمل بها الشيخ ، وزوجة الشيخ وأولاده ، فكانت المعلومات حول بداياته العلمية أسرته تكاد تكون غير معروفة لندرة من تحدّث عنها ، لكنّ المؤلفين الذين ترجموا له أوفوه حقّه من ناحية أسماء العلماء الذين تلقى عنهم العلم ، وذكر أسماء الطلاب الذين تتلمذوا على يديه ، ولعلّ ذلك يرجع إلى قلة مؤلفات الشيخ العلمية .

وأرى : أن الإمام الفاسي – رحمه الله – قد يكون كغيره من العلماء الكُثُر الذين تفرّغوا للإقراء وإلقاء الدروس العلمية والحلقات القرآنية دون الاهتمام بالتأليف والتصنيف ، وهذا دأب كثير من العلماء .

المطلب الثالث

شيوخ الإمام الفاسي رحمه الله

ذكر كثير من العلماء الذين ترجموا للإمام الفاسي عدداً من شيوخه الذين تلقى عنهم مختلف الفنون ، وممّا تميز به الإمام الفاسي – رحمه الله – أنه أخذ القراءات عن اثنين من القراء تلقّوا القراءات عن الإمام الشاطبي نفسه ، وأبيّن في السطور التالية عدداً من شيوخ الإمام الفاسي في علم القراءات فقط :-

قرأ بمصر على :

١- موسى عيسى بْن يوسف بْن إسماعيل المقدِسيّ:

وهو أحد تلامذة الإمام الشاطبي ، وقد قرأ عليه الإمام أبو عبد الله الفاسي القراءات وعرض عليه حرز الأماني ووجه التهاني المعروفة بالشاطبية .

٢- أبو القاسم عبد الرحمن بن سعيد الشافعي :

وهو أيضاً أحد تلامذة الإمام الشاطبي ، وقد قرأ عليه الإمام أبو عبد الله الفاسي القراءات، كما عرض عليه أيضاً حرز الأماني ووجه التهاني المعروفة بالشاطبية.(١)

وعن تلقّيه عن الشيخين السابقين يقول الإمام ابن الجزري :" عرض عليهما حرز الأماني وذلك مع وجود الصفراوي وجعفر الهمداني فلو قرأ عليهما لنال إسنادا عاليا "(٢) .

ويقول الحافظ الذهبي في العبر: " قرأ على رجلين قرءا على الشاطبي " (٣)هكذا ولم يسمّ الرجلين .

٣- جمال الدين علي بن أبي بكر الشاطبي :

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٨٣٩/١٤ .
(٢) غاية النهاية لابن الجزري ٢ / ١٢٢.
(٣) العبر في خبر من غبر ٣/ ٢٨٤ .

وقد عرض عليه الإمام الفاسي – رحمه الله – قصيدة (عقيلة أتراب القصائد) بسماعه من مصنفها – يعني الشاطبي – .

يقول الإمام الذهبي:" وعرض " الرائية فِي رسم المُصحف " عَلَى الجمال عليّ بْن أبي بَكْر الشاطبي بروايته عَن المصنف " [١]– أي الشاطبي – .

وقرأ بالإسكندرية على :

٤– أبي القاسم عيسى بن عبد العزيز بن عيسى . [٢]

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٨٣٩/١٤ .
(٢)غاية النهاية لابن الجزري ٢ / ١٢٢.

المطلب الرابع

تلاميذ الإمام الفاسي رحمه الله

ذكر كثير من العلماء الذين ترجموا للإمام الفاسي – رحمه الله – عدداً لا بأس به من تلامذته ، وقد أوصلهم الذهبي وابن الجزري إلى سبعة هم أشهر من أخذوا عن الشيخ القراءات والعربية وهم :

١ – بدر الدين محمد بْن أيّوب التادفي .

٢ بهاء الدين محمد بن إبراهيم ابن النّحّاس النّحويّ .

٣ وجمال الدّين أحمد ابن الظاهري .

٤ الشيخ يحيى المَنْبِجيّ .

٥ الناصح أبو بَكْر بْن يوسف الحراني .

٦ الشريف أبو محمد الحُسَيْن بْن قَتَادَة الْمَدَنِيّ .

٧ عبد الله بْن إبراهيم بْن رفيعا الْجَزَري[١]

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٨٣٩/١٤ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٢٣ / ٣٦١ ، ومعرفة القراء الكبار للذهبي ٣٥٩/١ ، وغاية النهاية لابن الجزري ٢ / ١٢٢.

المطلب الخامس

مؤلفات الإمام الفاسي رحمه الله

الإمام الفاسي – رحمه الله – رغم شهرته وتبحّره في علوم شتى ومكانته العلمية إلا أن مؤلفاته قليلة جداً مقارنة بمؤلفات الإمام الجعبري – رحمه الله – ولعل السر في ذلك يرجع إلى اهتمام الإمام الفاسي بإلقاء الدروس العلمية والإقراء خاصّة وأن الشيخ تولى مشيخة الإقراء بحلب وأقرأ بها كثير من طلاب العلم ، ولم تذكر المصنفات التي ترجمت للإمام الفاسي عدداً من مصنفاته ، وهذه طائفة من مصنّفات الإمام الفاسي :

١- اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة [١]، وهو الكتاب محل الدراسة مع كتاب (كنز المعاني في شرح حرز الأماني ووجه التهاني) للإمام الجعبري.

٢- أرجوزة في عد آي السور . [٢]

٣- كل عشر في القرآن على اصطلاح العدد الكوفي ، وهذه النسخة موجودة في المكتبة الظاهرية برقم (٢٦/٢ – ٢٧) [٣] .

وغالب المؤلفات التي صنفها الشيخ الفاسي مفقودة ، ولم أقف عليها لا مخطوطة ولا مطبوعة ، فلعل قادم الزمان يجود بما صنّف الشيخ فتخرج هذه المؤلفات النور الطباعة ليطّلع عليها ويتدارسها الباحثون وطلاب العلم .

– رحم الله الشيخ رحمة واسعة – .

(١) معجم المؤلفين ٢٢٠/٩ ، وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة ١ / ٦٤٦ .
(٢) الفهرس الشامل للتراث العربي المخطوط ٢٥٥/١ .
(٣) الفهرس الشامل للتراث العربي المخطوط ٨٧٥/٢ .

المطلب السادس

ثناء العلماء على الإمام الفاسي رحمه الله

أثنى كثيرٌ من العلماء على الإمام الفاسي – رحمه الله – ثناء حسناً ووصفوه بأجمل العبارات ، وأبرز طائفةً من أقوال العلماء في الثناء على الإمام الفاسي – رحمه الله – :

١–**الإمام الذهبي** : تحدّث عن الإمام الفاسي في كتابيه (تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام) و (معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار) وقال ما نصّه : " وقد شرح " حرْز الأماني " شرحًا فِي غاية الجودة، أبان فيه عَنْ تضلُّع مِن العلوم وتبحُّر فِي القراءات " [١]، وقال أيضاً :" كان إماما متفننا ذكيا متقنا، واسع العلم كثير المحفوظ، بصيرا بالقراءات وعللها، مشهورها وشاذها ، خبيرا باللغة مليح الكتابة، وافر الفضائل موطأ الأكناف، متين الديانة ثقة حجة، انتهت إليه رياسة الإقراء ببلد حلب. وأخذ عنه خلق كثير "[٢] ، وقال أيضاً :" وشرحه للشاطبية في غاية الحسن " ، وقال في كتابه (العبر في خبر من غبر) :" وكان فقيهًا بارعًا متفننًا متين الديانة جليل القدر تصدر للإقراء بحلب مدة " [٣]، وقال في (سير أعلام النبلاء) : " وَتَفَقَّهَ لأَبِي حَنِيْفَةَ، وَكَانَ رَأْساً فِي القِرَاءاتِ وَالنَّحْوِ، دَيِّناً صَيِّناً وَقُوْراً متثبِّتاً، مَلِيْحَ الخَطِّ " [٤].

٢– **الإمام الحافظ ابن كثير** : في كتابه (البداية والنهاية) أثنى على الإمام الفاسي فقال :" وَكَانَ عَالِمًا فَاضِلًا فِي الْعَرَبِيَّةِ وَالْقِرَاءَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَقَدْ أَجَادَ فِي شَرْحِهِ لِلشَّاطِبِيَّةِ وَأَفَادَ، وَاسْتَحْسَنَهُ الشَّيْخُ شِهَابُ الدِّينِ أَبُو شَامَةَ شَارِحُهَا أَيْضًا " [٥].

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٨٣٩/١٤ .
(٢) معرفة القراء الكبار للذهبي ٣٥٩/١ .
(٣) العبر في خبر من غبر ٢٨٤/٣ .
(٤) سير أعلام النبلاء ٢٣ / ٣٦١ .
(٥) البداية والنهاية لابن كثير ١٣ / ٢١٧ .

٣- الإمام محيي الدين الحنفي صاحب (الجواهر المضية في طبقات الحنفية) : وصفه وأثنى عليه فقال : " الْمقري الْفَقِيه الْحَنَفِيّ الْعَلامَة نزيل حلب وَبهَا تفقه على مَذْهَب أبي حنيفَة رَضِي الله عَنهُ ..... وَكَانَ مليح الْخط على طَرِيقَة المغاربة كثير الْفَضَائِل وافر الدّيانَة فَاضلاً في الْفِقْه ..... وتفقه عَلَيْهِ وَأخذ عَنهُ الجم الْغَفِير مِنْهُم مُحَمَّد بن أَيُّوب المنادى الْفَقِيه الْحَنَفِيّ وَمُحَمّد بن إِبْرَاهِيم بن النّحاس النَّحْوِيّ وَشرح حرز الْأَمَانِي شرحا عَظِيما " (١).

٤- الإمام أبو شامة المقدسي صاحب إبراز المعاني : أثنى على الإمام الفاسي فقال : " فِي ربيع الآخر جاءنا الخبر مِنْ حلب بموت الشَّيْخ أبي عَبْد الله الفاسي، وكان عالِمًا فاضلًا، شرح قصيدةً الشاطبي شرحًا حَسَنًا " (٢).

٥- الإمام الصفدي : في ترجمته للإمام الفاسي أثنى عليه قائلاً :" الْمُقْرِئ الْعَلامَة جمال الدّين..... وَقدم حلب واستوطنها وروى بهَا القراءات والعربية والْحَدِيث وتفقه بحلب على مَذْهَب أبي حنيفَة وَكَانَ مليح الْخط إِلَى الْغَايَة على طَرِيق المغاربة وَكَانَ يتَكَلَّم على مَذْهَب الْأَشْعَرِيّ وَشرح الشاطبية شرحا فِي غَايَة الْجَوْدَة أبان فِيهِ عَن تضلع من الْعُلُوم وتبحر فِي القراءات ..... مر بِبَلَد من أَعمال الديار المصرية وَبهَا طايفة يمْتَحنُونَ النَّاس فَكل من لم يقل أَن الله تكلم بِحرف وَصَوت آذوه وضربوه فَأتوهُ جمَاعَة فَقَالُوا لَهُ يَا فَقِيه ايش تَقول فِي الْحَرْف وَالصَّوْت فالهمت أَن قلت كلم الله مُوسَى بِحرف وَصَوت على طور سيناء فاكرموه واحضروا لَهُ قصب سكر وَنَحْوه وَبكر بِالْغَدَاةِ خوفًا أَن يشعروا بِهِ أَنه جعل مُوسَى الْفَاعِل "(٣) .

(١) الجواهر المضية في طبقات الحنفية ٤٥/٢ ، ٤٦ .
(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ٨٣٩/١٤ .
(٣) الوافي بالوفيات ٢٦٢/٢ .

٦- **الإمام اليافعي** : هو الآخر أثنى على إمامنا الفاسي بقوله : " قرأ على رجلين قرأ على الشاطبي، وكان فقيهًا بارعاً عارفًا متفننًا متين الديانة جليل القدر تصدر للإقراء بحلب مدة " [١].

٧- **ابن الجزري شمس القراء** : أثنى على الإمام الفاسي بما هو أهله فقال :" إمام كبير أستاذ كامل علامة " [٢]، ثم نقل ما ذكره الإمام الذهبي من ثنائه عليه .

٨- **خير الدين الزركلي:** والذي اكتفى بقوله عن الإمام الفاسي :" عالم بالقراءات"[٣].

٩- **رضا كحالة:** هو الآخر وصف الإمام الفاسي فقال عنه :" "مقرئ ، فقيه ، أصولي "[٤] .

هذه طائفة من أقوال العلماء عن الإمام الفاسي – رحمه الله – وقد وصفوه بأجمل الأوصاف وأثنوا عليه بلطيف العبارات .

رحم الله الشيخ الفاسي – رحمة واسعة – .

(١) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ١١٢/٤ .
(٢) غاية النهاية ١٢٢/٢ .
(٣) الأعلام ٦ / ٨٦ .
(٤) معجم المؤلفين ٩ / ٢٢٠ .

المطلب السابع

كتاب (اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة) للإمام الفاسي رحمه الله

كتاب اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة للإمام الفاسي يعدّ من أهمّ شروح الشاطبية وذلك لعدّة أسباب منها:

١- أن المؤلف الإمام الفاسي – رحمه الله – يعدّ موسوعة علمية متنوعة فقد درس القراءات والحديث والفقه والعربية على كثير من علماء عصره ، كما أنه قريب عهد بالإمام الشاطبي فلقد قرأ القراءات وتعلّمها على اثنين من العلماء سبق التعريف بهما وهما قرآ على الشاطبي نفسه .

٢- قصيدة الشاطبية قصيدة مباركة كتب الله لها القبول وتلقّاها العلماء بالقبول وتدارسوها بينهم فانتشرت وذاع صيتها فيكل مكا من ابلاد الإسلامية وأصبحت علماً في علم القراءات القرآنية يشار إليه بالبنان ، لذا تنافس العلماء في شرحها .

والإمام الفاسي نظراً لنزعته اللغوية جاء شرحه الشاطبية شاملاً للمعنى واللغة والتوجيه فتناول فيه الإمام الفاسي الكثير من :

الإعراب والمسائل اللغوية .

أ – بيان معاني مفردات الألفاظ الواردة في متن الشاطبية وإيضاحها بشكل يسير على القارئ .

ب – بيان القراءات الواردة في بيت الإمام الشاطبي ونسبة كل قراءة لقارئها ، مع بيان القراءة الأخرى .

ج – ضبط القراءة بالشكل زيادة في إيضاحها ويسرها .

د – توجيه القراءة القرشية وبيان وجهها الإعرابي والبياني .

هـ – بيان القراءة الشاذة في مواضع عديدة عند بيان القراءة المتواترة الواردة في بيت الشاطبي – رحمه الله – .

و – إيراده الكثير من القواعد والمسائل والمهمات وغيرها ليوقف قارئ شرحه على كثير من النقاط المتعلقة بالقراءة .

وسيتضح من خلال مبحث (منهج الإمام الفاسي في عرض القراءات القرآنية) كيف برع في هذا الشرح وبذل فيه الجهد الكبير .

المطلب الثامن

وفاة الإمام الفاسي رحمه الله

بعد حياة حافلة بالعلم محبة للقرآن وعلومه توفي الإمام الفاسي – رحمه الله – ، وقد اختلف المترجمون له في تحديد الشهر الذي توفي فيه ، بينما اتفق الجميع على السنة التي توفي فيها .

أما الشهر الذي توفي فذهب بعض المترجمين له أنه توفي في أحد الربيعين دون تحديد هل هو شهر ربيع الأول أم شهر ربيع الآخر ومن هؤلاء الإمام ابن الجزري[١] والشيخ عمر رضا كحالة[٢] وكذا الإمام الذهبي في معرفة القراء الكبار[٣] ، بينما ذهب البعض الآخر إلى تحديد الشهر الذي توفي فيه بأنه شهر ربيع الآخر ومنهم الإمام الذهبي في مؤلفات عدة[٤].

أما السنة التي فيها فهي سنة ست وخمسين وستمائة من الهجرة بحلب، الموافق سنة ثمان وخمسين ومائتين وألف من الميلاد ، وَلَهُ نَيِّفٌ وَسَبْعُوْنَ سَنَةً. وكانت جنازته مشهورة . [٥]

(١) غاية النهاية ١٢٣/٢ .
(٢) معجم المؤلفين ٢٢٠/٩ .
(٣) معرفة القراء الكبار ٣٥٩/١ .
(٤) العبر في خبر من غبر ٣ / ٢٨٤ ، وتاريخ الإسلام ١٤ / ٨٣٩ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣ / ٣٦١ .
(٥) غاية النهاية ١٢٣/٢ .

المبحث الثاني

دفاع الإمام الفاسي رحمه الله

عن القراءات المتواترة المطعون عليها

تمهيد :

تعريف الطعن :

طعن : (ط – ع – ن): (طَعَنَ بالرمح)، و(طَعَنَ في السن) كلاهما من باب (نصر)، و(طعن فيه): أي قدح من باب (نصر) أيضاً، و(المِطْعَانُ): الرجل الكثير الطعن للعدو، و(قوم مطاعين)، وفى الحديث الشريف: "**لا يكون المؤمن طَعَّانًا**"(١) يعنى في أعراض الناس، و (الطّاعون): الموت من الوباء، والجمع: الطّواعين(٢)، و(الطعن): النخس في الشيء بما ينفذه، ثم يحمل عليه. ويستعار من ذلك الطعن في الرمح، ورجلُ طعَّان في أعراض الناس، وقال بعضهم: طَعَنَ بالرمح يَطْعُنُ بالضم، وطَعَنَ بالقول يَطعَنُ فتحًا(٣).

والطعن في القرآن الكريم بقراءاته المتعددة:–

هو أحد مباحث علوم القرآن الكريم التي تبحث فيمن طعن في كتاب الله ﷻ أو زعم تناقضه، أو إشكاله، والردّ عليها بالأدلة الشرعية، والعقلية، والحسية(٤).

---

(١) حديث صحيح: أخرجه الترمذي والحاكم وأبو داود وصححه الألباني بلفظ "ليس المؤمن بالطعّان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء" ينظر المستدرك ٥٧/١، كتاب الإيمان، وسنن الترمذي ٣٥٠/٤، باب ما جاء في اللعنة، كتاب البر والصلة، وينظر حكم الألباني عليه بالصحة في صحيح سنن الترمذي للألباني ٣٧٠/٢، الناشر: مكتبة المعارف، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٢) مختار الصحاح للرازي: (ط ع ن) : ١٩٠، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس: (ط ع ن) ٤١٢/٣.

(٤) صنّف كثير من العلماء قديماً وحديثاً مصنفات عدة حول الردّ على الطاعنين في كتاب الله – عز وجل – ومنهم : ابن الأنباري (٣٢٨ هـ) في كتابه (الرد على من خالف مصحف عثمان - رضي الله عنه -) ، والباقلاني (٤٠٣ هـ) في (الانتصار للقرآن) ، والزركشي (المتوفى:

وقد انتصر الإمام الفاسي للقراءات القرآنية وبذل كلَّ ما في وسعه من أجل التصدّي لكل من طعن في قراءة متواترة عن رسول الله ﷺ ، وكان العمدة عنده في الردّ على هذه الطعون هو: التواتر ، فمتى تواترت القراءة وثبتت قرآنيتها كانت محلَّ قبول ولا مجال للطعن فيها حتى وإن خالفت الأفصح في العربية .

ولعلّ نظرة في شرح (الشاطبية) المعروف بـ (اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة للإمام الفاسي ، تقفنا على مدى تصدّي هذا الإمام الجليل لهذه المطاعن ودفاعه عن القراءات القرآنية المطعون عليها من اللغويين والنحاة والمفسرين وغيرهم، واستشهاده للقراءات المذكورة بالقرآن الكريم والحديث النّبويّ الشريف وكلام العرب شعره ونثره .

وقد طعن بعض أهل اللغة وبعض المفسرين في القراءات المتواترة وقرائها، ووجّهوا سهامهم إليها، تمسكاً بالقاعدة النحوية تارة ، وتعلّلاً بفساد المعنى تارة أخرى، ورمياً للقراء بالوهم واللحن ثالثةً ، واتهاما لهم بالعجمة وعدم البصر باللغة رابعة ، و... لقد وقع ذلك وأكثر وبكل أسف! فقد طعنوا في قراءات بعض القراء الكبار بغير حق تأثراً بهوى، أو جرياً على سنن قاعدة من وضع نحاة الكوفة أو البصرة في الوقت الذي يقبلون فيه قولا لأعرابي لا يحسن أن يقيم صلاته، ويجعلونه في اللغة حجة ، ويبنون قواعدهم على قوله ، فإذا جاءتهم قراءة متواترة متصل سندها إلى المعصوم ﷺ عن رب العزة – جل وعلا – ، بنقل العدول الأثبات ، ولها وجهها اللائق من كل جهة ردوها وعابوا على من قرأ بها ولحّنوه.

٧٩٤هـ) في (البرهان في علوم القرآن) ، والحافظ جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) في (الاتقان في علوم القرآن) ، والزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ) في (مناهل العرفان في علوم القرآن) ، والشيخ محمد محمد أبو شهبة (١٤٠٣ هـ) في (المدخل لدراسة القرآن الكريم) ، والشيخ مناع القطان مباحث في علوم القرآن (١٤٢٠ هـ) ، والدكتور/ موسى شاهين لاشين (١٤٣٠هـ) في (اللآلئ الحسان في علوم القرآن) ، والدكتور /محمد حسن حسن جبل (١٤٣٦هـ) في كتابيه (دفاع عن القرآن الكريم أصالة الإعراب ودلالته على المعاني في القرآن الكريم واللغة العربية) و (وثاقة نقل النص القرآني من رسول الله صلى الله عليه و سلم الى أمته) ، وغيرهم- رحمهم الله جميعاً - .

ومما كان له جهد بارز في التصدي لهؤلاء والوقوف لهم بالمرصاد والذب عن القراءات المطعون عليها الواقعة في أصول الشاطبية وفرشها هو الإمام أبو عبد الله الفاسي – رحمه الله – حيث كان له جهد واضح وسيأتي بيانه – إن شاء الله تعالى – عند عرض الأمثلة ولذا فإن الله قيّضَ للقرآن الكريم في كل زمان رجالاً يدافعون عنه ومنهم هذا العالم الربّانيّ الإمام الفاسي – رحمه الله – بل إن الله حفظ القرآن الكريم من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان حيث قال الله في كتابه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1].

(1) سورة الحجر من الآية : ٩ .

المطلب الأول

دفاع الإمام الفاسي عن قراءة إدغام الضاد في الشين في قوله تعالى :﴿ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ ﴾

يقول الإمام الشاطبي – رحمه الله – في باب (إدغام الحرفين المتقاربين في كلمة وفي كلمتين) :

وَعِنْدَ سَبِيلاً شِينُ ذِي الْعَرْشِ مُدْغَمٌ *** وَضَادَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ مُدْغَمًا تَلَا[١]

بعد شرح البيت وذكر ما فيه من قراءات متواترة بدأ الإمام الفاسي – رحمه الله – في توجيه قراءة إدغام الضاد في الشين من قول الله تعالى﴿ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ ﴾[٢] للسوسي عن أبي عمرو فقال:" وعلة إدغام الضاد في الشين التقارب، لأن الشين من وسط اللسان والضاد من أقصى حافته "[٣]

ثم أراد الفاسي – رحمه الله – أن يبيّن قوة قراءة الإدغام من ناحية تواترها وثبوتها فقال :" وقد روى الإدغام منه منصوصاً أبو شعيب عن اليزيدي عن أبي عمرو"[٤] وكأنّ الإمام الفاسي يريد قبل ذكره الطعن أن يوضّح أمراً غايةً في الأهمية وهو : أن قراءة إدغام الضاد في الشين مرويةٌ منصوصٌ عليها من قِبَلِ الرواة حتى وصلت إلى أبي عمرو ، فلا يجوز اتّهامها ولا إنكارها، بل ولا وجه لمن يريد الطعن فيها .

---

(١) حرز الأماني ووجه التهاني بيت رقم : ١٤٢ .
(٢) سورة النور من الآية : ٦٢ .
(٣) اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة للإمام الفاسي ١/ ١٩١ .
(٤) اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة للإمام الفاسي ١/ ١٩١ .

ثم ذكر – رحمه الله – الطعن الوارد فيها فقال:" وأنكر أكثر النحاة إدغامه، وطعن الزمخشري في رواية أبي شعيب[١] فأساء واعتذر له بعض النحاة، فقال:" وجه الإدغام فيه أن الشين أشد استطالة من الضاد وفيها تفشٍّ ليس في الضاد ، فقد صارت الضاد أنقص منها ، وإدغام الأنقص في الأزيد جائز[٢] . قال: "ويؤيد ذلك أن سيبويه حكي أن بعض العرب قال: اطَّجع في اضطجع[٣]، فإذا جاز إدغامها في الطاء فإدغامها في الشين أولى "[٤] .

ووصف الفاسي – رحمه الله – إنكار الزمخشري رواية أبي شعيب بإدغام الضاد في الشين بالإساءة، وكأنه رأى أن إنكار هذا الإدغام لا ينبغي ، وأنه مدفوعٌ بتواتر القراءة وثبوتها، وثبوتها وتواترها يُعَدُّ حجة على اللغة والنحاة، وليست اللغة حجةً على القراءة فلا يلتفت إلى منع النحاة لهذا الإدغام الثابت بالطرق الصحيحة المتواترة .

والحقّ أن الإمام الفاسي – رحمه الله – لم يكتفِ بذلك بل أراد أن يثبت أن التوجيهات اللغوية والوجوه العربية لا مكان لها مقارنة بتواتر القراءة وثبوتها ، والأقوى من ذلك أنه رأى أن كلام الزمخشري قد يكون صائباً من ناحية قواعد اللغة التي يلتزم منهجَها، لكنها لا ترقى إلى درجة الفصاحة من القرآن الكريم منبع اللغة ومصدرها الرئيسي، فالزمخشري فهم قراءة السوسي بالإدغام أنها إدغام بالمعنى الأصيل له، والأمر ليس كما فهم الزمخشري، فبيّن الإمام الفاسي أن إدغام السوسي ليس على معناه الحقيقي بل المراد به الإخفاء والاختلاس وتسميته إدغاماً تجوّزاً فقال

---

(١) عاب الزمخشري رواية أبي شعيب لهذه القراءة فقال :" الضاد لا تدغم إلا في مثلها كقولك اقبض ضعفها، وأما ما رواه أبو شعيب السوسي عن اليزيدي أن أبا عمرو كان يدغمها في الشين في قوله تعالى: " لبعض شأنهم " فما برئت من عيب رواية أبي شعيب ويدغم فيها ما يدغم في الشين إلا الجيم كقولك: حط ضمانك، وزد ضحكاً " . المفصل في صنعة الإعراب:٥٥١.

(٢) اللباب في علوم الكتاب ٤٦٤/١٤ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٥٣٩/٥.

(٣) الكتاب ٤٨٣/٤.

(٤) اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة للإمام الفاسي : ١٩١/١ ، ١٩٢.

– رحمه الله – : " والخصم لا يسلّم بذلك، لأن الضاد أقوى لا محالة بما فيها من الجهر والإطباق والاستعلاء، وصفة التفشي لا تقاوم هذه الصفات، وإدغام اطَّجع غريب، وهو في الغربة كالطَّجع، فلا يستشهد به على غيره، والوجه حمل الرواية في ذلك على الإخفاء والاختلاس، وإنما سمي ذلك الإدغام تجوزاً والدليل على صحة هذا التأويل أن الإدغام المحض لا يكون إلا بعد ساكن صحيح ، وعلى ذلك يحمل ما جاء من الإدغام في ﴿ ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلًا ﴾[١]وقد وقع الاتفاق على الإظهار في قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا ﴾ [٢]و﴿ ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ﴾[٣]ولو قيل: إن الإدغام المشار إليه لما كان القارئ يحتاج إلى التحفظ في التلفظ به لصعوبته، وبذلك روى أن اليزيدي كان لا يمكن من إدغامه إلا حاذقاً "[٤].

وقد استدلّ الإمام الفاسي – رحمه الله – على صحة التأويل الذي ذهب إليه بأن الإدغام الخالص لا يكون بعد ساكن صحيح فكان ردُّه واضحاً جلياً، وأن استدلال الزمخشري باطّجع غريب واستدلال في غير محلّه.

وقد بيّن الفاسي أن الإدغام يقصد به الإخفاء المعبر عنه بالاختلاس وأن ما رواه اليزيدي كان لا يمكَّن من إدغامه إلا حاذقاً ولذا اعتمد في الإدغام على التلقي والمشافهة وأن له نظيراً في القرآن الكريم والله أعلم .

وهنا تظهر براعة الإمام الفاسي – رحمه الله – في الانتصار لرواية أبي شعيب بإدغام الضاد في الشين باستخدامه أدوات علمية قوية تثبت حجّته وتدفع إنكار من عابَها ، وتمثّلت أدوات دفاعه في محاور رئيسية تلخّت في : تواتر القراءة وثبوتها ، وجودها في لغة القبائل العربية وجريانها على اللسان العربي كحكاية سيبويه وغيره ،

---

(١) سورة الإسراء من الآية : ٤٢ .
(٢) سورة مريم من الآية : ٤.
(٣) سورة عبس من الآية : ٢٦.
(٤) اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة للإمام الفاسي : ١٩١/١ ، ١٩٢.

وصْفُ القراءة بأنّ ذلك لا يعدّ إدغاماً بمفهوم الإدغام وإنما تُحمَلُ القراءةُ على الاخفاء والاختلاس وهما أخفُّ في النطق وأسرع في القراءة من الإدغام، ما يجعل القراءة خالية من الإدغام الكامل المحض واستقرت على الإدغام الناقص الأخف، وكأن الفاسي رأى بثاقب نظره أن التطبيق العملي المصاحب لقراءة لفظ ﴿ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ ﴾[1] بالإدغام غير موجود في واقع الامر، وأنه إنما سُمّيَ إدغاماً تجوّزاً ، وإنما يُسمَّى ذلك عند أهل الصنعة المنشغلين بعلم القراءات إخفاء واختلاساً وهما أخفّ في أداءً من الإدغام .

(1) سورة النور من الآية : ٦٢ .

المطلب الثاني

دفاع الإمام الفاسي عن قراءة إسكان القاف وكسر الهاء من غير صلة في قوله تعالى ﴿ وَيَتَّقْهِ ﴾

يقول الإمام الشاطبي – رحمه الله – في باب (هاء الكناية) :

وَعَنْهُمْ وَعَنْ حَفْصٍ فَأَلْقِهْ وَيَتَّقْهْ *** حَمَى صَفْوَهُ قَوْمٌ بِخُلْفٍ وَأَنْهَلَا[١]

يقول الله – عز وجل – : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾[٢] في لفظ ﴿ وَيَتَّقْهِ ﴾ قراءات عدّة : فقرأ شعبة وابو عَمْرو وخلاد بِخِلَاف عَنهُ "ويتقْه" بإسكان الْهَاء، وقرأ قالون باختلاس كسرتها، وَالْبَاقُونَ بصلتها، وَحَفْص "ويتقْه" بإسكان الْقَاف واختلاس كسرة الْهَاء، وَالْبَاقُونَ بِكَسْر الْقَاف، وَالْهَاء فِي الْوَقْف سَاكِنة بإجماع[٣] .

وقد طعن بعض أهل اللغة على قراءة حفص "ويتقْه" وردّ الإمام الفاسي – رحمه الله – طعن الطاعنين فيها فبيّن أولاً حجة حفصٍ في قراءته هذه وكأنه لم يعبأ بكلام أهل اللغة حولها فقال :" وحجة حفص فيما قرأ به من سكون القاف وكسر الهاء من غير صلة في ﴿ وَيَتَّقْهِ ﴾ : أن تَقِهَ من يتقه مثل كَتِف ، فكما لم يسكن نحو: كتف كذلك يسكن القاف من ﴿ وَيَتَّقْهِ ﴾ ، وعليه قول الشاعر:

عِجِبْتُ لمولودٍ ولَيس له أبٌ *** وذِي ولدٍ لم يَلْدَهُ أَبَوانِ [٤]

---

(١) حرز الأماني ووجه التهاني بيت رقم : ١٦١ .
(٢) سورة النور من الآية :٥٢ .
(٣) التيسير للداني : ١٦٢ ، ١٦٣ .
(٤) نسب البيت إلى رجل من أزد السراة، وأراد بالمولود الذي ليس له أب عيسى -عليه الصلاة والسلام - وبذي الولد الذي لم يلده أبوان آدم -عليه السلام. انظر خزانة الأدب ٢/ ٣٨١، والكتاب لسيبويه ٤/ ١١٥، والخصائص لابن جني ٢ /٣٣٥ ، وشرح المفصل ٣ / ٤٢ ، والشاهد فيه قوله: "لم يلْدَة"، والأصل: " لم يلِده"، فسَكن الشاعر اللام للضرورة الشعريَة، فالتقى ساكنان، فحرك الساكن الثاني بالفتح لأنّه أخف .

ومثله :

فباتَ مُنْتَصْبَاً وَمَا تَكَرْدَسَا[١]

ولما أسكن ما قبل الهاء – لهذا الشبه – حرك الهاء بكسر كما حرك الدال بالفتح من قال: لم يلْدَه أبوان، هذا قول أبو علي الفارسي– رحمه الله– في (الحجة) [٢] .

وقد اتضح من كلام إمامنا الإمام الفاسي – رحمه الله – أثناء توجيهه القراءة أنه استشهد بما ورد عن العرب في أشعارهم من وجود مثل قراءة حفصٍ في لغاتهم ، وكأنه يريد قبل الشروع في بيان أوجه الطاعنين فيها أن يبطل حجتهم، ويضعّف رأيهم من خلال الشواهد الشعرية التي لطالما استدلوا بها ووضعوها نُصْبَ أعينِهم .

ثم بدأ في إيراد أقوال الطاعنين في القراءة المضعّفين لها فقال "وقال مكي – رحمه الله – في الكشف : " كان يجب على من أسكن القاف أن يضم الهاء، لأن هاء الكناية إذا سكن ما قبلها ولم يكن الساكن ياء ضُمّت، نحو: مِنْهُ و عَنْهُ، لكن لما كان سكون القاف عارضاً لم يعتد به وأبقى الهاء على كسرتها التي كانت عليها مع كسر القاف، ولم يصلها ياء، لأن الياء المحذوفة قبل الهاء مقدرة منوية، فبقى الحذف في الياء التي بعد الهاء على أصله في حذف الصلة "[٣] ، وكان الشيخ الشاطبي – رحمه الله – يقول: لما أسكن القاف للتخفيف وقع قبل الهاء ساكن، فجرى على أصله في حذف الصلة، وبقيت الهاء على الكسر الذي كان فيها. وكان

---

(١) قائل هذا البيت هو العجاج بن رؤبة يصف ثوراً وحشياً، وبعده:
إذا أحسَّ نبأةً تَوجَّسا
والشاهد فيه: أن أصله (منتصِباً) بكسر الصاد فسكنت تخفيفاً – ينظر البيت في: لسان العرب ٧٥٨/١ وشرح شافية ابن الحاجب للرضى ٤٥/١، وتاج العروس ٢٧١/٤.
(٢) الحجة للقراء السبعة ٢ / ٧٩ ، اللآلئ الفريدة ١ / ٢١٧ ، ٢١٨.
(٣) الكشف عن وجوه القراءات لمكي بن أبي طالب ٢ / ١٤٢ .

يوهِّن قول أبي علي ويقول: لا يصح قوله، لأن كسر الهاء لالتقاء الساكنين ،لأن حفصاً لم يسكن الهاء في قراءته قط " .[١]

وقد تعجّب الإمام الفاسي – رحمه الله – من كلام إمامنا الشاطبي – رحمه الله – فقال: "قلت: وعجبت من نفيه – أي الشاطبي – الإسكان عنه مع ثبوته عنه في ﴿ أَرْجِهْ ﴾ و﴿ فَأَلْقِهْ ﴾ وإذا قرأ به في ﴿ أَرْجِهْ ﴾ و﴿ فَأَلْقِهْ ﴾ احتمل أن يكون ﴿ وَيَتَّقْهِ ﴾ عنده قبل سكون القاف كذلك، وربما ترجّح ذلك بما ثبت عن عاصم من قراءته إياه بسكون الهاء عند كسر القاف، وكذلك كان يضَعِّف تعليل مكي في حذف الصلة بأن الياء المحذوفة قبل الهاء مقدرة منوية، فبقى في حذف الصلة بعد الهاء على أصله، ويقول تعليله بذلك غير مستقيم من قبل أنه قرأ:﴿ يُؤَدِّهِۦٓ ﴾ وشبهه بالوصل، ولو كان يعتبر ما قاله من تقدير الياء قبل الهاء لم يصلها. قلت: هو وإن قرأ﴿ يُؤَدِّهِۦٓ ﴾ وشبهه بالصلة فإنه قرأ ﴿ يَرْضَهُ ﴾ بغير صله، فألحق مكي – رحمه الله - ﴿ وَيَتَّقْهِ ﴾ ب﴿ يَرْضَهُ ﴾ وجعله مما خرج فيه عن نظائره لاتّباع الأثر والجمع بين اللغتين ويرجح ذلك عنده، لأن اللفظ عليه، ولما كانت القاف في حكم المكسورة بدليل كسر الهاء بعدها صار كأنه ﴿ وَيَتَّقْهِ ﴾ بكسر القاف من غير صلة كقراءة قالون وهشام في أحد وجهيه، فعلّله بما تعلل به قراءتهما، والشيخ الشاطبي – رحمه الله – ترجح عنده حمله على الأكثر مما قرأ به، لا على ما قلَّ وندر، فاقتضى ذلك تعليله بما ذكر والكل سائغ مستقيم – إن شاء الله تعالى – ".[٢]

نرى الإمام الفاسي – رحمه الله – كعادته لا يلتفت إلى من وصف القراءة بالغرابة أو الضعف، وردّ حجج من وجّهها بتوجيه لا يتناسب مع القراءة فاستقى من كلامهم وأثبت ضعف فحواهم فعندما نفى الشاطبي الإسكان عن حفص تعجّب من

(١) اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة للإمام الفاسي١/٢١٧ : ٢١٩.
(٢) اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة للإمام الفاسي١/٢١٧ ، ٢١٩.

كلامه وأثبت صحة قراءة حفص بأنه أسكن ﴿ أَرْجِهْ ﴾ و﴿ فَأَلْقِهْ ﴾، وهذا لا شكّ خير دليل على ورود قراءة الإسكان، وأن القراءة بها ليست غريبة على حفص بل قرأ بها في مواضعَ أخرى من القرآن الكريم .

كذلك ردّ تعليل مكي بن أبي طالب القراءة بأن حفصاً أسكن القاف وكسر الهاء من دون صلة، لأن الياء المحذوفة قبل الهاء مقدرة منوية، فبقى الحذف في الياء التي بعد الهاء على أصله في حذف الصلة، ولم يعجبْ إمامنا الفاسي – رحمه الله – هذا التعليل من مكي – رحمه الله – واستدلّ على ما ذهب إليه من أن حفصاً قرأ:﴿ يُؤَدِّهِۦٓ ﴾ وشبهه بالوصل – أي وصل الهاء بياء بعدها – وكأنه يريد أن يقول: إن القراءة لا تؤخذ أبداً بالنظير، وإنما بالأثر الوارد فيها، ولو كانت القراءة بالنظير لوجدت كثير من القراءات لهذا السبب .

وقد التمس الفاسي العذر للشاطبي فحمل ما ذهب إليه الشاطبي على الأكثر في قراءة حفص لا على الأقل – أي أن حفصاً تغلب على قراءته الصلة ويقل الإسكان ، وهذا من باب الأدب بين المشايخ والعلماء ، وقد ختم الفاسي حديثه بقوله : " والكل سائغ مستقيم – إن شاء الله تعالى – ".[١]

والمعنى : أن جميع التأويلات السابقة الواردة في قراءة حفص مستقيمة خاصة وأن القراءة متواترة وثابتة وصحيحة ولها نظائر في القرآن الكريم، ولها شواهد في اللغة، والإسكان والتحريك لهجتان فصيحتان شائعتان في كتاب الله ، امتلأت بها آيات القرآن الكريم ، وتعجّ بها الشواهد الشعرية والنثرية، وكذا هي جارية على ألسنة الكثير من القبائل العربية ، فلا يلتفت إلى من ضعّفها أو قلّل من فصاحتها .

(١) اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة للإمام الفاسي١/٢١٧ ، ٢١٩.

يقول الإمام الشاطبي – رحمه الله – في باب (هاء الكناية) : –

وَعى نَفَرٌ أَرْجِئْهُ بِالْهَمْزِ سَاكِنا *** وَفي الْهَاءِ ضَمٌّ لَفَّ دَعْوَاهُ حَرْمَلَا

وَأَسْكِنْ نَصِيراً فَازَ وَاكْسِرْ لِغَيْرِهِمْ *** وَصِلْهَا جوَاداً دُونَ رَيْبٍ لِتُوصَلَا[١]

في لفظ ﴿ أَرْجِهْ ﴾ من قول الله – عز وجل – ﴿ قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾ [٢] قراءات عديدة وهي :

قرأ ابن كثير وهشام " أرجئْهو " في الأعراف الشعراء بالهمز وضم الهاء ووصلها بواو، وأبو عمرو بالهمز والضم من غير صلة، وابن ذكوان بالهمز وبكسر الهاء ولا يصلها بياء، وقالون بغير همز ويختلس الكسرة، وورش والكسائي بغير همز ويصلان الهاء بياء، وعاصم وحمزة بغير همز ويسكنان الهاء، والهاء في الوقف ساكنة بلا خلاف إلا في مذهب من ضمها سواء وصلها أو لم يصلها فإن الروم والاشمام جائزان فيها [٣].

وقد طعن بعضُ أهل اللغة في قراءة ابن ذكوان عن ابن عامر في لفظ (أرجِئْهِ) بإسكان الهمز وكسر الهاء وعدم صلتها ووصفها البعض بالغلط وأنها غير جائزة، وقد دافع الفاسي – رحمه الله – عن قراءة ابن ذكوان، وردّ قول من أنكرها فقال :"والحجة للضم والكسر والإسكان والصلة وتركها في الهاء على ما تقدم في أمثاله إلا ما روي عن ابن ذكوان من الكسر بعد الهمز الساكن فإن فيه إشكالاً ، قال أبو علي : " ضم الهاء مع الهمز لا يجوز غيره" ، وقال: "رواية ابن ذكوان عن ابن عامر غلط " [٤]، وقال ابن مجاهد – بعد ما رواه –:"وهذا لا يجوز، لأن الهاء لا تكسر إلا إذا وقع قبلها كسرة أو ياء ساكنة "[٥] .

---

(١) حرز الأماني ووجه التهاني البيتان رقم : ١٦٦، ١٦٧ .
(٢) سورة الأعراف الآية :١١١ .
(٣) التيسير للداني : ١١١ .
(٤) الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٤ / ٥٨ .
(٥) السبعة لابن مجاهد : ٢٨٨.

أوجز الإمام الفاسي هذه المرة في عرض من طعن في هذه القراءة، وقد وصفها الفارسي بالغلط ، والسؤال : هل أحصى الفارسي وكذا ابن مجاهد كل الأوجه الجارية على اللسان العربي حتى يصفوا قراءة ابن ذكوان بهذا الوصف؟ الإجابة : اللهجات العربية أكثر من أن تحصى، ولا يستطيع أحدٌ أن يحصيَها مهما بلغ علمه، واتّسع اطّلاعه، لذا لم يكترث الإمام الفاسي – رحمه الله – بهذا الوصف وانتصر للقراءة من ناحية ثبوتها وصحتها فقال :"وإذا ثبتت القراءة فلا وجه لإنكارها "[١].

ولم يكتف الفاسي بذلك بل وجّه القراءة توجيهاً حسناً مستدلاً بأن ابن ذكوان لم يعتد بالهمز الساكن الواقع بين الجيم والهاء وأن الهمز الساكن ليس حاجزاً قوياً، والهمز عند العرب عرضة للتغيير، وله كيفيات متعددة تنطق بها القبائل العربية فقال :"ووجهها : أنه لم يعتد بالساكن حاجزاً، فكأن الهاء وقعت بعد الجيم، وجاز ذلك في الهمز دون غيره من الحروف الصحيحة ،لأن الهمز ليس كغيره ، إذ هو قابل للتغير " .[٢]

أيضاً لا يليق أبداً أن توصف قراءة ابن ذكوان بالغلط أو أنها غير جائزة ، خاصة أن الإمامين الفارسي وابن مجاهد لهما باعٌ طويلٌ في اللغة والقراءة ومثل هذا الوصف لا ينبغي أبداً أن يخرج عنهما لأن القراءة ثابتة بالتواتر عن النبي – صلى الله عليه وسلم –، وإذا كان ذلك كذلك فلا وجه لقولهما ولا اعتداد بوصفهما القراءة .

(١) اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة للإمام الفاسي ٢٢٣/١.
(٢) اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة للإمام الفاسي ٢٢٣/١.

المطلب الرابع

دفاعه عن قراءة إسكان العين من لفظ " نعما "

في قوله تعالى ﴿ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ وكذا قوله تعالى﴿ نِعِمَّا يَعِظُكُم ﴾

يقول الإمام الشاطبي – رحمه الله – في فرش حروف(سورة البقرة) :

نِعِمَّا مَعاً في النُّونِ فَتْحٌ كَمَا شَفَا *** وَإِخْفَاءُ كَسْرِ الْعَيْنِ صِيغَ بِهِ حُلَا[١]

في لفظ ﴿ فَنِعِمَّا ﴾ من قول الله – عز وجل – ﴿ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾[٢] وقوله تعالى ﴿ نِعِمَّا يَعِظُكُم ﴾[٣] ثلاث قراءات وهي :" قرأ ابن كثير وورش وحفص في الموضعين بكسر النون والعين، وقرأ قالون وشعبة وأبو عمرو بكسر النون وإخفاء حركة العين، ويجوز إسكانها وبذلك ورد النص عنهم، والباقون بفتح النون وكسر العين"[٤].

وقد زاد الإمام الداني في كتابه التيسير الذي هو أصل الشاطبية وجهاً ثانياً لقالون وشعبة وأبي عمرو وهو : إسكان العين من " فنعْمّا " ، وهي قراءة متواترة ثابتة، نقلها كثير من أئمة القراءات ، وقد طعن عليها بعض أئمة اللغة وغيرهم بحجة الجمع بين الساكنين العين من " فنعما " والميم المشددة بعدها، والمشدد كما هو معلوم أنه بحرفين أولهما ساكن والثاني متحرك .

وقد وجّه الفاسي – رحمه الله – قراءة الاختلاس بقوله :"والحجة لمن قرأ بهذه الثالثة – وهي الإخفاء– أن الكلمة لما ثقلت بتوالي الكسرتين والإدغام وطالت ولم يحسن إسكان العين لئلا يلتقي ساكنان أخفى كسرتها ، طلبا للتخفيف"[٥].

---

(١) حرز الأماني ووجه التهاني بيت رقم : ٥٣٦ .
(٢) سورة البقرة من الآية : ٢٧١ .
(٣) سورة النساء من الآية :٥٨.
(٤) التيسير للحافظ الداني : ٨٤ .
(٥) اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة للإمام الفاسي ٢ / ١٧٩ : ١٨١ .

ثم عرض الإمام الفاسي آراء بعض الطاعنين في قراءة الإسكان ومنهم الإمام مكي بن أبي طالب – رحمه الله – في كتابه الكشف فقال :"قال مكي – رحمه الله– :" والذي خفيت حركته في الوزن والحكم كالمتحرك إلا أنه أخف من المتحرك ثم قال : وقد روى عن أهل الإخفاء فيه الاختلاس ، وهو حسن. ثم قال : ورُوِيَ الإسكان في العين وليس بشيء ولا قرأت به ولأن فيه جمعاً بين ساكنين ليس الأول منهما حرف مد ولين وذلك غير جائز عند أحد من النحويين"[١] .

وقد ردّ الفاسي كلامَ مكي بن أبي طالب السابق بأن القراءة نقلها أئمة القراءات وعلى رأسهم الحافظ الداني فقال :" وقال الحافظ أبو عمرو في كتاب التيسير:" وقد قرأ قالون وأبو بكر وأبو عمرو : " نِعْما" بكسر النون وإخفاء كسر العين، قال: ويجوز إسكانها، وبذلك ورد النص عنهم، والأول أقيس " [٢].

ولم يكتف الإمام الفاسي بذلك بل ذكر أن أبا عبيد قرأ بهذه القراءة واختارها ولم يروِ غيرها، وأن القراءة بالإسكان ثابتة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وواردة في بعض أحاديثه – صلى الله عليه وسلم – ، يقول الإمام الفاسي :" اختار أبو عبيد الإسكان ولم يروِ غيره، قال لأنه فيما يروى لغة النبي ﷺ حين قال لعمرو بن العاص "نعْما المال الصالح للرجل الصالح "[٣] هكذا يروى عنه – صلى الله عليه وسلم – يعني الإسكان" [٤]

وقد ذكر الفاسي – رحمه الله – أن الزجاج وكذا المبرد والفارسي جميعهم طعنوا في قراءة إسكان العين فقال :" أنكر أبو إسحاق ذلك لما فيه من الجمع بين

---

(١) الكشف لمكي بن أبي طالب ١/ ٣١٦ .
(٢) التيسير للحافظ الداني : ٨٤ .
(٣) الحديث صحيح : على شرط مسلم ولم يخرّجْه وهو في مسند الإمام أحمد ٢٩٩/٢٩، والمستدرك على الصحيحين للحاكم ٣/٢ - كِتَابُ الْبُيُوعِ ، ومسند أبي يعلي الموصلي ٣٢٠/١٣ – مسند عمرو بن العاص - تحقيق: حسين سليم أسد – الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق – الطبعة الأولى ١٤٠٤ – ١٩٨٤م – وحكم المحقق عليه: إسناده صحيح .
(٤) اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة للإمام الفاسي ٢ / ١٧٩ : ١٨١ .

الساكنين، وحمل الحديث على أن الرواة لم يضبطوا اللفظ فيه"[١]، وكذا أنكره المبرد وقال: "إسكان العين والميم مشددة لا يقدر أحد أن ينطق به ، وإنما يروم الجمع بين الساكنين فيحرك ولا يأبه، أي: ولا يفطن"[٢]، وقال أبو علي:" من أسكن العين لم يكن قوله مستقيماً عند النحويين، ولا يجوز ذلك إلا أن يكون الأول حرف مد ولين، قال: ولعل أبا عمرو أخفى ذلك فظنه السامع إسكاناً " [٣] .

وقد ردّ الإمام الفاسي – رحمه الله – أقوال النحويين السابقين على طعنهم في قراءة الإسكان السابقة، وأن كلامهم مردود بصحة القراءة وثبوتها، وورودها عن كثير من الصحابة والتابعين – رضي الله عنهم – ، وشهرتها عند كثير من القراء، وكيف يقرأ بها هذا العدد من القراء ومن ثمّ ينكرها بعضهم بحجة أنها لم ترد على ألسنة العرب، وهذا غير صحيح فقد ورد عن العرب الجمع بين الساكنين في كثير من كلامهم وأشعارهم، وكذا في الوقف أيضاً يحدث جمع بين الساكنين ، يقول الإمام الفاسي منتصراً لقراءة إسكان العين:" وبالغ بعضهم في تصحيح الإسكان ونصره، لوروده عن نافع وأبو عمرو وعاصم، ولورود مثله عن ابن كثير في بعض التاءات المذكورة وعن حمزة في "اسْطَاعُوا" قال: وإذا كانت هذه الجماعة الذين عنهم تلقى المسلمون القراءة كالمجتمعين على ذلك – يعني– على احتجاج الساكنين – وجب التسليم لهم، كيف وقد تلقّوه عن التابعين، وتلقّاه التابعون عن الصحابة، وتلقاه الصحابة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأعتذر عن ذلك بأن أحد الساكنين عارض، وأن العرب قد جمعت بينهما لذلك – يعني – في الوقف ".[٤]

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١ / ٣٥٤ .
(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣٣٨/١ .
(٣) الحجة للقراء السبعة لأبي على الفارسي ٢ / ٣٩٦.
(٤) اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة للإمام الفاسي ١٨٠/٢ ، ١٨١ .

المطلب الخامس

دفاع الإمام الفاسي عن قراءة حمزة " والأرحامِ " بالخفض من قوله تعالى " تساءلون به والأرحامَ "

عند قول الإمام الشاطبي – رحمه الله – في فرش حروف (سورة النساء) : –

وَكُوفِيُّهُمْ تَسَّاءَلُونَ مُخَفَّفًا ... وَحَمْزَةُ وَالأَرْحَامَ بِالْخَفْضِ جَمَّلَا

عند بيان القراءتين الموجودتين في لفظ " الأرحام " من قوله تعالى﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾ تحدّث الإمام الفاسي – رحمه الله – عن قراءة الإمام حمزة الزيات بخفض الميم من لفظ " الأرحامِ " وقال في توجيهها : "وفى القراءة بخفض" الأرحام " ثلاثة أوجه :

أحدها : أنها معطوفة على الهاء من "به"، وأنكر البصريون القراءة بها".[١]

وقد لوحظ هنا أن الفاسي على غير عادته يحدّد الطاعنين في قراءة "والأرحامِ" بالخفض وهم : البصريون.

وقد دافع الإمام الفاسي – رحمه الله – عن هذا الطعن عقب بيانه إنكار البصريين لها، وانتصر للقراءة من ناحية تواترها وثبوتها وكان هذا الانتصار هو الأساس والحصن الحصين الذى بنى عليه دفاعه عن القراءة ، لذا بدأ به فقال : "وإنكارهم إيّاها غير سديد لأنها قراءة ثابتة صحيحة قرأ بها الأعمش وقتادة والنخعي وغيرهم "[٢] ، والإمام الفاسي – رحمه الله – هنا يذكر إلى جانب حمزه الذى قرأ بالخفض كثيراً من قراء الكوفة الذين قرأوا بهذه القراءة وما ذاك إلا لشهرة القراءة واستفاضتها بين قراء الكوفة جميعاً سواء من اشتهر منهم بالتواتر كحمزة ، أو من نقل عنهم القراءة بالمتواتر والشاذ كالأعمش ومن معه .

---

(١) اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة للإمام الفاسي ٢٧٦/٢ ، ٢٧٧.
(٢) البحر المحيط ١٦٥/٣ .

ثم بين الإمام الفاسي – رحمه الله – وَجْه الطعن في نظر البصريين وسبب إنكارهم قراءة الخفض في "والأرحامِ" فقال: "والذى أنكروه من القراءة بها أن عطف الظاهر على المضمر المخفوض لا يجوز عندهم إلا بإعادة الخافض ، وعلة ذلك : أن المعطوف والمعطوف عليه شريكان يحسن في أحدهما ما يحسن في الآخر، ويقبح فيه ما يقبح فيه ، فكما لا يحسن أن تقول : واتقوا الله الذى تساءلون بالأرحام"، فكذلك لا يحسن " **به والأرحام** " فإن أعدت الخافض حسن".[١]

والإمام الفاسي – رحمه الله – هنا يوضح المسألة لدى البصريين والقاعدة عندهم بأنه لا يجوز عطف الظاهر على المضمر إلا بإعادة حرف الجار فإن أعيد الخافض حسن الكلام وبقى متناسقاً مع قاعدتهم وقد نسى البصريون أنهم لا يُحصون كلَّ لغات ولهجات القبائل العربية، وأن ما استقبحوه عندهم قد يكون فصيحاً عند غيرهم هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أن القاعدة الثابتة الراسخة لدى المسلمين أن اللغة تابعة للقرآن الكريم فهو منبع اللغة وينبغي على أهل هذه اللغة أن يستقوا مادتهم من القرآن الكريم ، فاللغة تابعةٌ له ولا يصح العكس بحال من الأحوال.

ثم يؤكد الإمام الفاسي – رحمه الله – دفاعه عن القراءة وأن أهل اللغة من الكوفة يجيزون عطف الاسم الظاهر على المضمر دون إعادة الجار وإن كانوا يختارون سواه فيقول: "والكوفيون يجيزون العطف المذكور ويختارون سواه".[٢]

ثم بدأ ينتصر لقراءة الإمام حمزة بخفض "والأرحامِ" بإيراد أدلةٍ تثبت ورود مثل هذه اللغة في كلام العرب نثراً وشعراً فقال: "وقد جاء ذلك في الكلام والشعر روى قطرب: " ما فيها غيره وفرسه " [٣]، وأنشد غيره في ذلك قول الشاعر :

---

(١) اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة للإمام الفاسي ٢٧٧/٢.
(٢) اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة للإمام الفاسي ٢٧٧/٢.
(٣) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ٢ / ٣٩٦ .

إذا أوقدوا ناراً لحرب عدوهم *** فقد خاب من يصلى بها وسعيرها[١]

وقال الآخر:

فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا *** فاذهب فما بك والأيام من عجب[٢]

وهو هنا ينتصر للقراءة من واقع كلام العرب وأنها موجودة في لغتهم وكلامهم نثراً وشعراً وكأنه يريد أن يخاطب البصريين المنكرين لقراءة الخفض ويقول لهم: أنتم لم تطلعوا على كل اللهجات العربية حتى تنكروا هذه القراءة وتقولوا إنها غير جائزة ولا توجد في كلام العرب فهذه أشعار العرب ونثرهم تؤكد جواز هذه القراءة وجريانها على ألسنتهم .

ويواصل الإمام الفاسي – رحمه الله – الدفاع عن قراءة حمزة بخفض " والأرحامِ " بذكر أوجهٍ أخرى لها فيقول: "والوجه الثاني: أنها معطوفة على الهاء المذكورة على تقدير تكرير الخافض، وحذفه من اللفظ للعلم بمكانه كما حذف في قولهم: اللهِ لأفعلنّ، وفى قوله رؤبة: خيرٍ عافاك الله إذا قيل له: كيف أصبحت؟[٣]

وهو هنا في هذا الوجه يريد أن يصل إلى حقيقة متداولة بين ألسنة العرب وهذه الحقيقة هي : أنّ مدارج اللغة العربية كثيرة وآفاقها واسعة وتقديرات الكلام فيها واردة والإشارات اللغوية بينهم معروفة فعندما يقول أحدهم : اللهِ لأفعلنّ يفهم المستمع العربيّ أن هناك تقديراً في الكلام وهي واو القسم المحذوفة قبل لفظ الجلالة وأصل

---

(١) البيت بلا نسبة في شرح الكافية الشافية لابن مالك ٦٥/١ – تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي – الناشر: جامعة أم القرى – مكة المكرمة – الطبعة الأولى – بدون تاريخ، وهو من شواهد البحر المحيط ١٥٧/٢، والشاهد فيه قوله: "بها وسعيرها" حيث عطف "سعيرها" على الضمير المجرور في بها من غير تكرار حرف الجر .

(٢) البيت بلا نسبة في الكتاب لسيبويه ٣٨٣/٢، وخزانة الأدب ١٢٣/٥، وشرح الأشموني ٣٩٤/٢، وشرح المفصل ٢٨٢/٢، والشاهد فيه قوله : "والأيامِ" حيث عطفها على الكاف المجرورة بالباء في (بك) من غير إعادة حرف الجر .

(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف : ٣٢٥.

الكلام "واللهِ"، والأوضح من ذلك قول رؤبة عندما يبدأ الكلام بلفظ مخفوضٍ على غير القواعد الإعرابية وهو: (خيرٍ) وما هذا إلا لملمحٍ إشاريٍ معروفٍ بين العرب وتقديراتٍ متأصّلةٍ في السليقة العربية.

ثم ينتقل الفاسي – رحمه الله – إلى الوجه الثالث الجائز في قراءة "والأرحامِ" بالخفض فيقول: "والثالث: أنه مقسم بها تنبيهاً على ما يجب من صلتها وتعظيماً لشأنها فتكون الواو للقسم ويوقف على ما قبلها، ولا يوقف على "الأرحام"، لأن جواب القسم محذوف"[١] .

الإمام الفاسي – رحمه الله – في هذا الوجه يؤكد على أمر ذائع الشيوع بين العرب وهو : تقديرهم للرحم ومكانتها عندهم ووجوب صلتها ما يجعلهم يقسمون بها تعظيماً لشأنها وكأنها سجيةٌ عند العرب توقيراً للرحم التي بينهم، ورفعةً لشأنها لذا جرى على ألسنتهم: "أسألك بالله والرحم".

ومن الأمور التي تميز به الإمام الفاسي – رحمه الله – في دفاعه عن هذه القراءة هو بيان الوقف والابتداء لهذا الموضع من القرآن الكريم على قراءة حمزه بخفض "الأرحامِ "، حيث بَيّن أنه يجوز الوقف على ما قبل لفظ " والأرحام " وهو قوله تعالى:" واتقوا الله الذى تساءلون به" ، والبدء بقوله تعالى : " والأرحامِ إن الله كان عليكم رقيباً" على اعتبار أن لفظ " والأرحامِ "، كلامٌ مستأنفٌ والواو للقسم "والأرحامِ" مقسم به لذا لا يجوز الوقف على "الأرحام"، والبدء بـ "إن الله كان عليكم رقيباً"[٢].

(١) اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة للإمام الفاسي ٢٧٨/٢ ، ٢٧٩.
(٢) اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة للإمام الفاسي ٢٧٧/٢.

المطلب السادس

دفاع الإمام الفاسي عن قراءة " إن صدوكم عن المسجد الحرام " بكسر الهمزة

عند قول الإمام الشاطبي – رحمه الله – في أول سورة (المائدة) :

وَسَكِّنْ مَعًا شَنَآنُ صَحَّا كِلاَهُمَا *** وَفي كَسْرِ أَنَ صَدُّوكمْ حَامِدٌ دَلَا[1]

وأثناء شرح الإمام الفاسي – رحمه الله – وتوجيهه القراءات الموجودة في لفظ ﴿ أَن صَدُّوكُمْ ﴾ قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ﴾ [2]

وجدت أن الإمام الفاسي – رحمه الله – أبدع بإيجاز البلغاء في دفاعه عمّن طعن في قراءة أبي عمرو وابن كثير بكسر همزة "أن" من قوله ﴿ أَن صَدُّوكُمْ ﴾ .

ومع إيجازه البليغ إلا أنه استخدم أدوات عدة في دفاعه عن هذه القراءة التي بدأ بتوجيهها فقال: "والوجه في قراءة من قرأ: " إن صدوكم" بكسر الهمزة أنه جعل "إن" شرطية، وفعل المصدر مستأنفاً ويشهد لذلك قراءة ابن مسعود [3] ، قال أبو عبيد: حدثنا حجاج عن هارون قال في قراءة ابن مسعود "إن يصدوكم" قال: وهذا لا يكون إلا على استئناف الصدّ، قلت: والمعنى لا يُكسِبنكم بُغض قوم إن صدوكم مثل الصد الذى كان قد وقع مع أن تعتدوا".[4]

وقد انحصر دفاع الإمام الفاسي – رحمه الله – عن قراءة كسر همزة " إن صدوكم " فيما يلى:-

---

(1) سورة المائدة من الآية : ٢ .
(2) اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة للإمام الفاسي ٢٧٧/٢.
(3) قرأ ابن مسعود – رضي الله عنه - "وَلا يُجْرِمَنَّكُم" بضم الياء "شَنَآنُ قَوْمٍ إِنْ يصَدُّوكُمْ" بكسر الألف. المحتسب ٢٠٦/١ ، وشواذ القراءات للكرماني : ١٥٠.
(4) اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة للإمام الفاسي ٣٢٥/٢.

أولاً: بيانه لها من الناحية الإعرابية فجعل " إن " شرطية ، ولفظ " صدوكم" مصدر مستأنف.

ثانياً: استشهاده لصحة القراءة بكسر "إن" على ما جاء في القراءة الشاذة الواردة عن ابن مسعود "إن يصدوكم" بالمضارع وهى لا يعطى إلا معنى واحداً وهو استئناف الصد والقراءة الشاذة قد تكون من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم إلا أنها نسخت في العرضة الأخير، ونقلت آحاداً، فوجود القراءة الشاذة يعضد ما جاء في قراءة أبي عمرو وابن كثير.

ثالثاً: ويعدّ من أقوى الأدوات التي استخدمها الفاسي – رحمه الله – وقد انتصر للقراءة هذه المرة من الناحية التفسيرية فقال: "والمعنى: لا يُكسبنكم بغض قوم إن صدوكم مثل الصد الذى وقع أن تعتدوا" فهو هنا يوضح المعنى ويفسّره تفسيراً يرفع إشكال من أنكر هذه القراءة.

والذى أنكر هذه القراءة كابن جُرَيج والنحاس[1] وغيرهما التبس عليهم أن قراءة الكسر معناها أن "إنْ" شرطية ، وهذا يعنى أن الأمر المشروط لم يقع ، مع أن

([1]) أنكر النحاس قراءة كسر الهمزة " إن صدوكم " وقال :" وهذه القراءة لا تجوز بإجماع النحويين إلّا في شعر على قول بعضهم لأن «إن» إذا عملت فلا بدّ في جوابها من الفاء والفعل وإن كان سيبويه قد أنشد:
إنّك إن يصرع أخوك تصرع
فإنّما أجازه في الشعر وقد ردّ عليه قوله فأما «إن صدّوكم» بكسر «إن» فالعلماء الجلّة بالنحو والحديث والنظر يمنعون القراءة بها لأشياء منها أنّ هذه الآية نزلت عام الفتح سنة ثمان وكان المشركون صدّوا المؤمنين عام الحديبية سنة ستّ فالصدّ كان قبل الآية وإذا قرئ بالكسر لم يجز أن يكون إلا بعده كما تقول: لا تعط فلانا شيئا إن قاتلك فهذا لا يكون إلّا للمستقبل وإن فتحت كان للماضي فوجب على هذا ألّا يجوز إلا أن صدّوكم، وأيضا فلو لم يصح هذا الحديث لكان الفتح واجبا لأن قوله تعالى: " لا تُحِلُّوا شَعائِرَ اللَّهِ " إلى آخر الآية يدلّ على أنّ مكة كانت في أيديهم وأنّهم لا ينهون عن هذا إلّا وهم قادرون على الصدّ عن البيت الحرام فوجب من هذا فتح «أن» لأنه لما مضى وأيضا فلو كان للمستقبل لكان بعيدا في اللغة لأنك لو قلت لرجل يخاف من آخر الشتم والضرب والقتل: لا تغضب إن ضربك فلان لكان بعيدا لأنك توهم أن يغضب من الضرب فقط. أَنْ تَعْتَدُوا في موضع نصب لأنه مفعول به أي لا يكسبنّكم شنآن قوم الاعتداء". إعراب القرآن :٢٥٧.

الصدّ قد وقع ، لأن الآية نزلت متأخرة عن الصدّ بمدة ، لأن الصّدَ وقع عام الحديبية سنة ست من الهجرة، والآية نزلت سنة ثمان وأيضاً فإن مكة كانت عام الفتح في أيديهم، فكيف يُصَدّ عنها.

ودفاع الإمام الفاسي – رحمه الله – من ناحية المعنى يَرُدُّ ما أنكره بعض العلماء الذين خفى عليهم هذا المعنى الجليل ، ويؤكد هذا المعنى أيضاً وقريب منه ما ذكره أبو حيان في تفسيره حيث قال: "وهذا الإنكار منهم لهذه القراءة صعبٌ جداً، فإنها قراءة متواترة ، إذ هي من السبعة ، والمعنى معها صحيح ، والتقدير : إن وقع في المستقبل مثل ذلك الصد الى كان زمن الحديبية ، وهذا النهى تشريع في المستقبل وليس نزول هذه الآية عام الفتح مجمعاً عليه، بل ذكر اليزيدي أنها نزلت قبل أن يصدوهم ، فعلى هذا القول يكون الشرط واضحاً "[١].

والعجيب أن الفاسي – رحمه الله – وَجّه القراءة بالكسر واستشهد لصحتها من ناحية اللغة والمعنى وغيرهما ثم تحدّث قراءة الفتح وبَيَّن معناها ولم يتعرض لمن أنكر القراءة بالكسر وكأنه لم يعبأ به واكتفى فقط بالإشارة إلى ذلك إشارة موجزة بعد ذكره القراءتين فقال: "وقد أنكر قومٌ الكسر لذلك"[٢] لكنه دافع عن القراءة ورَدّ من أنكرها بفصاحة موجزة متمسكًا بتواتر القراءة وصحتها وثبوتها من ناحية ، وكذا شهادة قراءة بن مسعود لها من ناحية أخرى ، ثم بيان المعنى على قراءة الكسر من ناحية ثالثة فأوجز قائلاً :" ولا وجه لإنكاره لصحته وثباته ، وشهادة قراءة ابن مسعود، وصحة تأويله بما ذكر "[٣] .

---

(١) البحر المحيط ٤٣٧/٣ .
(٢) اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة للإمام الفاسي ٣٢٥/٢.
(٣) اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة للإمام الفاسي ٣٢٦/٢.

المطلب السابع

دفاع الإمام الفاسي عن قراءة : "عَبُد الطاغوتِ" بضم الباء من "عَبُد" وجرّ التاء من "الطاغوتِ"

يقول الإمام الشاطبي – رحمه الله – في سورة (المائدة) : –

وَبَا عَبَدَ اضْمُمْ واَخْفِضِ التَّا بَعْدُ فُزْ *** رِسَالَتَهُ اجْمَعْ وَاكْسِرِ التَّا كَمَا اعْتَلَا[١]

قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[٢] قرأ حمزه : "عَبُد الطاغوتِ" بضم الباء من "عَبُد: وجرّ التاء من "الطاغوتِ".

وقد بَيّن الفاسي – رحمه الله – وجه هذه القراءة بقوله : "والوجه في قراءة من قرأ " وعبُد الطاغوتِ "، بضم الباء وخفض التاء على ما ذكره أبو على[٣] – رحمه الله – قال:" هو واحد يراد به الكثرة مثل قوله ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [٤] وليس بجمع (عبد) لأنه ليس من أبنية الجموع مثله قال: وجاء على "فَعُل" لأنه بناء يراد به الكثرة والمبالغة في نحو: يَقُظ ونَدُس،كأنه قد ذهب في عبادة(الطاغوت) والتذلل له كل مذهب ، ونحا الزمخشري منحاه فقال: معناه الغلو في العبودية كقولهم: رجل حَذُر وفَطُن للبليغ في الحذر والفطنة[٥] وأنشد:

أَبَني لُبَينى إنَّ أُمَّكُمُ *** أَمَةٌ وَإِنَّ أَباكُمُ عَبدُ[٦]

والإمام الفاسي هنا يستشهد لقراءة حمزه على الإضافة بورود نظير لها في القرآن الكريم ، كما استدل لها من ناحيتي اللغة والمعنى بأنه يراد بها الكثرة والمبالغة

---

(١) حرز الأماني ووجه التهاني بيت رقم : ٦٢٣.
(٢) سورة المائدة من الآية : ٦٠ .
(٣) الحجة لأبي علي الفارسي ٢٣٦/٣ .
(٤) سورة إبراهيم من الآية : ٣٤ .
(٥) الكشاف ٦٨٥/١ .
(٦) البيت لأوس بن حجر كما في تهذيب اللغة لأبي منصور ١٣٩/٢ ، وقد نسبه الآلوسي لطرفة روح المعاني ٦ / ١٧٦.

والغلو في العبودية ، ويختم حديثه حول بيان وجه القراءة بوجودها في كلام العرب وأشعارهم.

وبعد الطّواف حول إثبات صحة القراءة لغة ومعنى يذكر الطاعنين فيها والمنكرين لها فيقول: "وأنكر بعضهم القراءة بذلك فقال نصير النحوي[١]: "وهو وهْمٌ ممّن قرأ به فليتق الله من قرأ به وليسأل عن العلماء حتى يوقف على أنه غير جائز، وقال الفراء: " إن يكن لغة في (عبُد) فهو وجه ، وإلا فلا يجوز في القراءة "[٢] ؛ وقال أبو عبيد: " معنى العبد عندهم الأعبد يريدون خادم الطاغوت ، قال: ولم نجد عن فصحاء العرب أنه يُجمع العبد على عَبُد ، وإنما يجمع على أعبد ، قلت: ولا وجه لإنكاره مع صحة نقله وروايته ، والوجه فيه ما ذهب إليه أبو على – رحمه الله – وهو معطوف على القردة والخنازير والطاغوت مخفوض بإضافته إليه".

والإمام الفاسي – رحمه الله – هنا يعرض المنكرين للقراءة وسبب إنكارهم لها وهو ضعفه في اللغة من وجهة نظرهم لكنّ دفاع الإمام الفاسي عنها يبطل إنكارها حيث تمسك بتواتر القراءة وصحة نقلها وكأن لسان حاله أن كلامكم يا أهل اللغة مردودٌ عليكم ولا وجه له لأن القراءة متى صح نقلها مجال لإنكارها ، واللغة تابعة للقرآن ولا يصح العكس، كما أن علمكم باللغة محدود فما ترونه منكراً في اللغة عندكم هو صحيحٌ عند غيركم فأنتم لم تحيطوا بكل لغات العرب حتى تنكروا هذه القراءة الثابتة ، وعلى هذا فانتصار الفاسي لها جاء من ناحية تواترها وكذا من ناحية توجيه أبى على الفارسي لها.

---

(١) هو : نُصَيْر بن يوسف بن أبي نصر الرَّازيُّ النَّحْويُّ المقرئ، أبو المنذر [الوفاة: ٢٣١ - ٢٤٠ ه] تلميذ أبي الحسن الكسائي ، كان من أئمة القراء المشهورين. أخذ عنه محمد بن عيسى بن رزين الإصبهاني، وعلي بن أبي نصر النحوي، ومحمد بن إدريس الدنداني. تاريخ الإسلام للذهبي ٩٤٨/٥.

(٢) معاني القرآن للفراء١ / ٣١٤ ، ٣١٥ .

المطلب الثامن

دفاع الإمام الفاسي عن قراءة "بالغدوة والعشي "

بضم الغين وبواو مكان الألف

يقول الإمام الشاطبي – رحمه الله – في فرش حروف سورة (الأنعام) : –

وَبِالْغُدْوَةِ الشَّامِيُّ بِالضَّمِّ هٰهُنَا *** وَعَنْ أَلِفٍ وَاوٌ وَفِي الْكَهْفِ وَصَّلاَ[١]

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾[٢] قرأ ابن عامر الشامي لفظ " بالغداة " هكذا " بالغدوة " بضم الغين وبواو مكان الألف ، وقد أنكر بعض أهل اللغة قراءة ابن عامر هذه بحجة أن لفظ "غدوة" بالواو لا يجوز أن تدخل عليه "أل" التي للتعريف ، وقد دافع الإمام الفاسي – رحمه الله – عن قراءة ابن عامر ووجَّهَها بأحسن التوجيهات وساق الأدلة على صحتها بوسائلَ عدة شملت اللغة والمعنى ورسم القراءة في المصحف وقراءة عامة الشاميين لها كذلك ، قال الإمام الفاسي – رحمه الله – في توجيه القراءة: "والوجه في قراءة من قرأ بالضم والواو: أن بعض العرب ينكر غدوة ، فإذا أراد تعريفها أدخل عليها لام التعريف كسائر النكرات[٣] ، وأكثرهم يجعله معرفة علماً للوقت فلا يصرفه ، وعن الفراء قال: " سمعت أبا الجراح[٤] في غداة يوم بارد يقول: ما رأيت كغدوة ، يريد غدوة يومه ، فالقراءة بالضم والواو على اللغة الأولى ، وفيها موافقة لسائر المصاحف فإن الواو ثابتة في جميعها، وهى قراءة أبى عبد الرحمن السلمى وأبى رجاء العطاردي[٥] "[٦].

---

(١) حرز الأماني ووجه التهاني بيت رقم : ٦٤٠.
(٢) سورة الأنعام من الآية : ٥٢ .
(٣) الحجة لابن خالويه : ١٤٠.
(٤) هو : عمران بن تميم ويقال ابن ملحان أبو رجاء العطاردي البصري التابعي الكبير، ولد قبل الهجرة بإحدى عشرة سنة وكان مخضرما أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره، وعرض القرآن على ابن عباس توفي سنة ١٠٥ه . غاية النهاية ١ / ٦٠٤ .
(٥) ومعهم : مالك بن دينار والحسن البصريّ ونصر بن عاصم . البحر المحيط ١٣٩/٤.
(٦) اللآلئ الفريدة ٣٧٤/٢ .

الملاحظ هنا انتصار الإمام الفاسي – رحمه الله – لقراءة ابن عامر: "بالغدوة "، وأنها لغة بعض القبائل العربية فلا وجه لإنكارها لأن هذه اللغة قد تكون خفيت على من أنكرها وأنها لم تصل إليه.

كما استشهد الإمام الفاسي – رحمه الله – لصحة القراءة بجريانها على ألسنة أحد القبائل العربية في قولهم: "ما رأيت كغُدوة " ، فاللسان العربي نطق بها وهذا دليل صحتها فلا وجه أيضاً لإنكارها فأنتم لم تحيطوا بكل ألسنة العرب حتى تنكروها.

وهو هنا يؤكد كلام إمام الناس في اللغة سيبويه الذي أكّد أن لفظ " غدوة " تطلقه العرب وتجعله علماً للحين فقال : " اعلم أن غدوة وبكرة جعلت كلَّ واحدةٍ منهما اسماً للحين، كما جعلوا أمَّ حبينٍ اسماً للدابة معرفة "[١] .

ثم استخدم الفاسي أقوى الأدوات في ثبوت وصحة هذه القراءة وهو : أن القراءة رسمت في جميع المصاحف العثمانية بالواو ، ورسْمُها بالواو كافٍ لقراءتها بها فكيف تنكرونها ؟

واختتم كعادته بأن هذه القراءة ثابتة ومتواترة وقد قرأ بها اثنان من كبار التابعين الذين تلقوا القراءة عن الصحابة مباشرة وهما: أبو عبد الرحمن السلمى وأبو رجاء العطاردي فلا حق لكم في إنكارها فبطل ما استدللتم به.

وقد انبرى أبو حيّان دفاعاً عن قراءة ابن عامر " بالغدوة " وأجاد الحديث عنها في تفسيره البحر المحيط [٢].

---

(١) الكتاب ٢٩٣/٣ .

(٢) قال أبو حيان عن قراءة ابن عامر " بالغدوة :" وقرأ ابن عامر وأبو عبد الرحمن ومالك بن دينار والحسن ونصر بن عاصم وأبو رجاء العطاردي بالغدو . وروي عن أبي عبد الرحمن أيضاً بالغدوّ بغيرها . وقرأ ابن أبي عبلة : بالغدوات والعشيات بالألف فيهما على الجمع ، والمشهور في غدوة أنها معرفة بالعلمية ممنوعة الصرف . قال الفرّاء : سمعت أبا الجرّاح يقول : ما رأيت كغدوة قط يريد غداة يومه ، قال : ألا ترى أن العرب لا تضيفها فكذا لا تدخلها لألف واللام إنما يقولون : جئتك غداة الخميس ؛ انتهى . وحكى سيبويه والخليل أن بعضهم ينكرها فيقول : رأيته غدوة

المطلب التاسع

دفاع الإمام الفاسي عن قراءة " أرآيت "

بإبدال الهمزة الثانية ألفاً مع المد

يقول الإمام الشاطبي – رحمه الله – في فرش حروف سورة (الأنعام) : –

أَرَيْتَ فِي الاِسْتِفْهَامِ لاَ عَيْنَ رَاجِعٌ *** وَعَنْ نَافِعٍ سَهِّلْ وَكَمْ مُبْدِلٍ جَلَا [١]

عند قول الله – عز وجلّ – ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ ﴾ وتحديداً لفظ " أرأيت " حيث وقع في القرآن الكريم سواء اتصل به حرف خطاب أو لم يتصل به قرأ الكسائي " أَرَيْتَ " بإسقاط الهمزة الثانية ، وقرأ نافع بتسهيلها ، وزاد ورشٌ وجهاً ثالثاً وهو إبدال الهمزة الثانية ألفاً " أرآيْت "، وقرأ الباقون من القراء بإثبات الهمزة الثانية محققة.

وقد غَلّط بعضُ أهل اللغة قراءةَ ورشٍ بإبدال الهمزة الثانية ألفاً وجاء التضعيف من ناحية أن الألف الثانية عند إبدالها تكون ساكنة وبعدها ياء ساكنة وعندها يجتمع ساكنان وبَيّن الإمام الفاسي – رحمه الله – وجه قراءة ورش بقوله: "والوجه في إبدالها ألفاً طلب التخفيف أيضاً"[٢].

بالتنوين وعلى هذه اللغة قرأ ابن عامر ومن ذكر معه وتكون إذ ذاك كفينة . حكى أبو زيد : لقيته فينة غير مصروف ولقيته الفينة بعد الفينة أي الحين بعد الحين ولما خفيت هذه اللغة على أبي عبيد أساء الظن بمن قرأ هذه القراءة فقال : إنما نرى ابن عامر والسلمي قرآ تلك القراءة اتباعاً للخط وليس في إثبات الواو في الكتاب دليل على القراءة بها ، لأنهم كتبوا الصلاة والزكاة بالواو ولفظهما على تركها وكذلك الغداة على هذا وجدنا العرب ؛ انتهى . وهذا من أبي عبيد جهل بهذه اللغة التي حكاها سيبويه والخليل وقرأ بها هؤلاء الجماعة وكيف يظن بهؤلاء الجماعة القرّاء أنهم إنما قرأوا بها لأنها مكتوبة في المصحف بالواو والقراءة ، إنما هي سنة متبعة وأيضاً فابن عامر عربي صريح كان موجوداً قبل أن يوجد اللحن لأنه قرأ القرآن على عثمان بن عفان ونصر بن عاصم أحد العرب الأئمة في النحو ، وهو ممن أخذ علم النحو عن أبي الأسود الدؤلي مستنبط علم النحو والحسن البصري من الفصاحة بحيث يستشهد بكلامه فكيف يظن بهؤلاء إنهم لحنوا ؟ انتهى . واغتروا بخط المصحف ولكن أبو عبيدة جهل هذه اللغة وجهل نقل هذه القراءة فتجاسر على ردها عفا الله عنه " البحر المحيط ١٣٩/٤ .

(١) حرز الأماني ووجه التهاني بيت رقم : ٦٣٨.

(٢) اللآلئ الفريدة ٣٧١/٢ .

ثم شرع في بيان من ضَعَّفَها فقال: "وهو ضعيف عند النحويين ، قال بعضهم: وهذا غلط عند أهل اللغة لأن الياء ساكنة والألف ساكنة ولا يلتقى ساكنان "[١].

هذا هو وجه ضعف القراءة عند بعض أهل اللغة كما بين الإمام الفاسي – رحمه الله – وقد دافع عن القراءة بقوله: "قلت: ليس بغلط عليه بل هو رواية صحيحة عنه فإن أبا عبيد القاسم بن سلام – رحمه الله – روى أن أبا جعفر ونافعاً وغيرَهما من أهل المدينة يسقطون الهمزة غير أنهم يدعون الألف خلفاً منها ، فهذا يشهد للبدل، وهو مسموع من العرب حكاه قطرب[٢] وغيره، وقال مكى – رحمه الله – وقد روى عن وروش إبدال الهمزة ألفاً لأن الرواية عنه إنما يمد الثانية، والمد لا يتمكن إلا مع البدل، قال: وحسن جواز البدل في الهمزة وبعدها ساكن لأن الأول حرف مد ولين فالمد الذى يحذف مع الساكن يقوم مقام الحركة يوصل بها إلى النطق بالساكن[٣]، قلت: قوله: "المد لا يتمكن إلا مع البدل قول حسن متين، وحكى بعضهم أن من مشيخة المصريين من يشبع مدها لورش إذا سهلها لأنها بمنزلة الساكن إذ لا يبتدأ بها كما لا يبتدأ بالساكن، وقد سكن ما بعدها فيمد للساكن[٤].

والإمام الفاسي هنا يدافع عن القراءة بكل ما أوتى من قوة مستخدماً ما يراه مناسباً وكافياً لإقحام من ضَعّفها وتمثلت أدواته في الدفاع عنها فيما يلى:–

أولاً: صحة القراءة وهو العمدة في الرد على من ضَعّفها فالقراءة الثابتة لا مجال لتضعيفها أو إنكارها ، وتواترها كافٍ في دحض من أنكرها.

---

(١) يقول النحاس وهو ممن ضعف القراءة :" وحكى أبو عبيد عنه أنه يسقط الهمزة ويعوّض منها ألفا وهذا عند أهل اللغة غلط عليه لأن الياء ساكنة والألف ساكنة ولا يجتمع ساكنان " إعراب القرآن ١٠/٢.

(٢) البحر المحيط ١٢٩/٤ .

(٣) الكشف لمكي ٤٣١/١.

(٤) اللآلئ الفريدة ٣٧٢/٢ .

ثانياً: قراءة أهل المدينة بإبدال الهمزة الثانية ألفاً يشهد لصحتها ويأتي على رأسهم من انتهت إليهما رئاسة الإقراء بالمدينة وهما: أبو جعفر ونافع المدني فيما نقله أبو عبيد عنهم.

ثالثاً: سماع مثل هذه القراءة عن العرب حيث جرت على ألسنتهم إبدال الهمزة ألفاً ووقوع ساكن بعدها كما حكى قطرب وغيره، وهذا وقع كثيراً في القرآن الكريم ، وقد قرأ القراء جميعاً باتّفاق "الضالّين" "الحاقّة" وغيرها بالمد الطويل المتمثل في مطّ الألف لزمن مقداره ستّ حركات من أجل وقوع الساكن بعده ، والساكنان هما الألف والحرف المشدد الواقع بعده ومع ذلك لا خلاف بين القراء في مدّها.

رابعاً: من ناحية التطبيق العمليّ للقراءة فقد أبدلها ورشٌ ألفاً وعند إبدالها ألفاً يمد مدّاً مطوّلاً ، وهذا حسنٌ عند القراء جميعاً يمدون حرف المد أو اللين الواقع بعده ساكن لأن المدّ هنا يقوم مقام الحركة التي يُتَوصّل بها إلى النطق بالساكن.

وخلاصة ما أراده الفاسي – رحمه الله – في دفاعه الأخير عن القراءة أن حرف المد لمّا نُطِقَ به مطوّلاً كان كالعوض عن الحركة فإذا قرأنا بالمد الطويل انتفى اجتماع الساكنين فلا وجه لمن ضَعّفَها إذن ، وتضعيفه مردودٌ عليه بما ذكر – والله أعلم –

المطلب العاشر

دفاع الإمام الفاسي عن قراءة : "ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا" ، بياء الغيب في لفظ "يحسبن"

يقول الإمام الشاطبي – رحمه الله – في فرش حروف سورة (الأنفال) : –

وَبِالْغَيْبِ فِيهَا تَحْسَبَنَّ كَمَا فَشَا *** عَمِيمًا وَقُلْ فِي النُّورِ فَاشِيهِ كَحَّلَا [١]

قول الله – عز وجلّ – ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾[٢]

قرأ حمزة وابن عامر وحفص بياء الغيب في لفظ "يحسبن" والباقون بتاء الخطاب " تحسبن " وقد وصف الزمخشري قراءة الغيب بأنها ليست نيّرة[٣] وقد دافع الإمام الفاسي عن هذا الاتهام فوجّه القراءة أولاً بقوله: "والوجه في قراءة من قرأ ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴾ بياء الغيبة أنه أسند الفعل إلى فاعل أضمر لفهم المعنى أي: ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا ، فقبيل المؤمنين فاعل، والذين كفروا سبقوا مفعول أول وثان، أو أسنده إلى "الذين كفروا" أن سبقوا، فيكون أن سبقوا سادّاً مسد المفعولين، وحُذِف الموصول اكتفاء بالصلة كما حذف في قوله: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ ﴾[٤]، ويشهد لهذا الوجه قراءة ابن مسعود "أنهم سبقوا"[٥] أو أسنده إلى "الذين كفروا"، وحذف المفعول الأول لفهم المعنى، أي ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا "، أو " ولا يحسبن الذين كفروا أنفسهم سبقوا"[٦].

---

(١) حرز الأماني ووجه التهاني بيت رقم : ٧٢٠ .
(٢) سورة الأنفال من الآية : ٥٩ .
(٣) قال الزمخشري واصفاً القراءة : " وليست هذه القراءة التي تفرد بها حمزة بنيرة " الكشاف ٢١٩/٢.
(٤) سورة الروم من الآية : ٢٤ .
(٥) مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه : ٥٥ .
(٦) اللآلئ الفريدة ٤٨١/٢ ، ٤٨٢ .

هكذا أورد الفاسي – رحمه الله – الأوجه الجائزة على قراءة من قرأ بالياء، ولما رأى وصف الزمخشري للقراءة بأنها ليست نيّرة وأنها انفرادّ من حمزة بها وهذا وصفٌ يقدح فيها ردّ الإمام الفاسي وصفه هذا وكلامه عن القراءة بقوله : "قوله تفرّد بها حمزة وَهْمٌ ، لأنه لم ينفرد بها بل هي قراءة أهل الشام ، وقراءة حفص بن عاصم ، وهى مع ذلك قراءة الحسن وأبى جعفر وأبى رجاء والأعمش وطلحة وابن محيصن وابن أبى ليلى ، وإلى هذا أشار الناظم بقوله: فشا عميماً".

والفاسي – رحمه الله – في ردّه وصْفُ الزمخشري عاب عليه وصفه هذا ، بل وصف الفاسيُّ الزمخشريَّ بأنه واهمٌ في وصفه لأن الزمخشري اعتقد تفرّد حمزة بهذه القراءة فأتى له بأشهر القراء الذين يقرؤون بقراءة الياء سواء من اشتهر منهم في السبع أو العشر أو غيرهم ، وأنها قراءة أهل الشام وهو يقصد بذلك ابن عامر وغيره.

ومن ناحية أخرى انتصر أيضاً الإمام الفاسي – رحمه الله – لِقراءة "ولا يحسبن " بالياء وأن عدداً غير قليل من القراء يقرؤون بها استشهد لها بما ذكره الإمام الشاطبي حينما أشار إلى القراءة بقوله:

وَبِالْغَيْبِ فِيهَا تَحْسَبَنَّ كَمَا فَشَا *** عَمِيمًا ..... [1]

فقول الشاطبي: فشا عميماً فيه إشارة إلى فشوِّ القراءة وشهرتها وأنها قراءة عامة القراء وليست قراءة منفردة لحمزة.

وعلى فرض أنها قراءة تفرّد بها الإمام حمزة فلا وجه أبداً لإنكارها أو وصفها بأنها ليست نيّرة كما قال الزمخشري لأنها ثابتة متواترة لا مجال لردّها أو الطعن فيها ، فقد تفرّد كثيرٌ من القراء بقراءات عِدّة ومع ذلك عُدّت متواترة صحيحة لكثرة طرقها من ناحية ولنقلها الصحيح الثابت من ناحية أخرى.

(1) حرز الأماني ووجه التهاني بيت رقم : ٧٢٠ .

وقد أبان الإمام الفاسي عن تقديرات عدّة لهذه القراءة ووجَّهَها بأفضلَ توجيه ووازن بين آراء العلماء فيها .

واللغة العربية واسعة الأفق كثيرة الاحتمالات متعددة الوجوه ، والوجه الذى يراه البعض ضعيفاً أو منكَراً أو غيرَ جائزٍ قد يكون صحيحاً بل فصيحاً عند غيره ، وقد تسابق المفسرون على توجيه القراءة بالياء وأبانوا عن معانى هذه القراءة وتقديراتها بنحوٍ يثبتُ مقاصدَها وفحواها.

المطلب الحادي عشر

دفاع الإمام الفاسي عن قراءة " بمصرخيّ"

بكسر الياء من "مصرخيِّ"

يقول الإمام الشاطبي – رحمه الله – في فرش حروف سورة (إبراهيم) – عليه السلام – : –

..... *** .. مُصْرِخِيَّ اكْسِرْ لِحَمْزَةَ مُجْمِلَا

كَهَا وَصْلٍ أَوْ لِلسَّاكِنَينِ وَقُطْرُبٌ *** حَكَاهَا مَعَ الْفَرَّاءِ مَعْ وَلَدِ الْعَلَا [١]

قول الله – عز وجلّ – ﴿ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ﴾ [٢]

قرأ حمزة بكسر الياء من لفظ "مصرخيِّ" ، وقرأ الباقون بفتحها ، وقد بيّن الإمام الشاطبي – رحمه الله – قراءة حمزة ووجّهها في البيت الثاني وقال الإمام الفاسي – رحمه الله – في توجيهها: "والوجه في قراءة من قرأ بالكسر أنه زاد بعد ياء الإضافة ياءً ساكنة كما تزاد بعد الهاء في "به" ونحوه ، ثم حذف الياء الزائدة استخفافاً ، وأبقى الكسرة دالّةً عليها أو أدخل ياء الجمع على ياء الإضافة ساكنة وحركها بالكسر على أصل التقاء الساكنين [٣] ، وسوّغ الكسر فيها مع ثقله في الياء أنها لما أدغمت فيها الياء التي قبلها قويت بالإدغام فأشبهت الحروف الصحاح فاحتملت الكسر لأنه إنما يستثقل فيها إذا خَفّت وانكسر ما قبلها ، ألا ترى أن حركات الإعراب تجرى على المشدد ؟ وما ذاك إلا لإلحاقه بالحروف الصحاح ، والكسر لغة بنى يربوع [٤] .

---

(١) حرز الأماني ووجه التهاني بيت رقم : ٧٩٨ ، ٧٩٩ .
(٢) سورة إبراهيم من الآية : ٢٢ .
(٣) الكشف لمكي ٢ / ٢٦ .
(٤) هو : يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ، وبنوه هم : رباح وثعلبة والحارث وعمرو ، وكانوا يسمون الأحمال ، وكليب وغدانة والعنبر ، وكانوا يسمون العقداء ، لأنهم تعاقدوا على بني أخيهم رباح ، وصار الأحمال مع بني رباح . ينظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم : ٢٢٤.

وأنشد ذلك للأغلب العجلى [١] :

ماضي إذا ما هَمَّ بالمضيِّ

قال لها هل لك ياتا فِيِّ قالت له ما أنت بالمرضيِّ [٢]

وإلى ما ذكرته من التعليل أشار الناظم – رحمه الله – بقوله: كها وصلٍ أي: كهاء وصلت بياء للساكنين، ثم أخبر أنها لغة كما ذكرته فقال: وقطرب حكاها مع الفراء مع ولد العلا". [٣]

وقد أطنب الإمام الفاسي – رحمه الله – في تخريج هذه القراءة وتوجيهها من ناحية اللغة ، والاستشهاد عليها بورودها على ألسنة قبيلة عربية وهى: بنى يربوع ، وقد ذكرها العرب كذلك في أشعارهم، وإيراد الفاسي – رحمه الله – كل هذه الأوجه الجائزة في قراءة الكسر يدفع كل من أراد الطعن فيها أو بأنها لحن ، وبعد التوجيه البليغ لها يذكر الفاسي – رحمه الله – أن هناك من يطعن في قراءة حمزة هذه فيقول:

"وقد ردَّ جماعة من النحاة هذه القراءة وأطالوا فيها القول وعَدُّوا القراءة بها لحناً[٤]، ولا وجه لما ذهبوا إليه من ذلك فإنها قراءة صحيحة ثابتة قرأ بها الأعمش

---

(١) هو : الأغلب بن عمرو بن عبيدة ، من بني عجل ، شاعر مخضرم ، أسلم وحسن إسلامه ، استشهد يوم نهاوند سنة ٢١ هـ . الأعلام للزركلي ٣٣٥/١ .

(٢) البيت نسب للأغلب العجلي ، والشاهد فيه : كسر ياء حرف الجر (فيِّ) ، و (تا) اسم إشارة أي : هل لك يا هذه المرأة رغبة فيِّ . خزانة الأدب ٤٣٣/٤، والبيت بدون نسبة في معاني الفراء ٧٦/٢ ، معاني الزجاج ١٥٩/٣ ، ١٩٠ .

(٣) اللآلئ الفريدة ٣ / ٦٩ ، ٧٠ .

(٤) منهم : الأخفش الذي قال عن القراءة :" ما سمعت هذا من أحد من العرب ولا من النحويين " معاني القرآن للأخفش ٤٠٧/٢ ، وقال الزجاج : " هذه القراءة عند جميع النحويين رديئة مرذولة ، ولا وجه لها إلا وجه ضعيف ذكره بعض النحويين، وذلك أن ياء الإضافة إذَا لم يكن قبلها ساكن حُرِّكَتْ إلى الفتح: تقول: هذا غلامِيَ قد جاءَ، وذلك أن الاسم المضمَرَ لمَّا كان على حرف واحدٍ وقد منع الإعراب حرك بأخف الحركات، كما تقول: هو قائم فتفتح الواو، وتقول: أنا قمْتُ فتفتح

ويحيى بن وثّاب[١] وحمران بن أعين[٢] ، وجماعة من التابعين ، و هي لغة بن يربوع ، ولها من قياس العربية ما تقدم ذكره فلا وجه لإنكارها والطعن فيها، وعن حسين الجعفي[٣] قال: سألت أبا عمرو عن كسر الياء فأجازه". [٤][٥]

ومن خلال الكلام السابق نرى أن الإمام الفاسي – رحمه الله – دافع عن قراءة حمزة وردَّ قولَ الطاعنين فيها بأساليبَ عدّة تمثّلت في:

الأول: تواتر القراءة وثبوتها يبطل قول من ينكرها أو يطعن فيها، وسلاح التواتر يعد من أقوى الأدلة التي جعلها الفاسي – رحمه الله – أساساً في دفاعه عن القراءة، لذا رفض الفاسي قول من عَدَّها لحناً ودفع هذا القول بقوله: "ولا وجه لما ذهبوا إليه " المراد : أنه لا قيمة لقولهم هذا لأنه ثبت تواتر القراءة بل اشتهر عن كثير من التابعين والقراء أنهم يقرؤون بها.

الثاني: أن قراءة حمزة ثبت جريانها على اللسان العربي فكسر الياء المشددة لغة لبعض القبائل العربية ومنهم: بنى يربوع.

الثالث: أن القراءة بكسر ياء "مصرخيِّ" لها قياس في العربية وهو ما ذكره من أوجه عديدة في توجيه هذه القراءة، فالقراءة من ناحية العربية لها قياس ولها وجوه ثابتة لا مجال لإنكارها أو نسبتها إلى اللحن.

النون، ويجوز إسكانُ الياء لِثِقَلِ الياء التي قبلها كسرة، فإذا كان قبل الياء سَاكِن خرِّكَتْ إلى الفتح لا غير " .معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٥٩/٣: ١٦٠ .

(١) البحر المحيط ٥ / ٤٠٨ .

(٢) هو : حمران بن أعين ، أبو حمزة الكوفي ، مقرئ كبير ، أخذ الرواية عن : يحيى بن وثاب ، وغيره ، وأخذ عنه : حمزة الزيات ، وغيره، توفي سنة ١٣٠هـ . غاية النهاية ٢٦١/١ .

(٣) هو : الحسين بن علي ، قرأ على : حمزة ، وغيره ، روى عنه القراءة : أبو عمرو بن العلاء ، وغيره ، توفي سنة : ٢٠٣هـ . غاية النهاية ٢٤٧/١ .

(٤)إبراز المعاني لأبي شامة : ٥٥١.

(٥) اللآلئ الفريدة ٣ / ٦٩ ، ٧٠ .

الرابع: جوازُ أبى عمرو لقراءة كسر الياء في "مصرخيِّ" حينما سُئِل عنها، وأبو عمرو من هو في العربية والقراءة والفصاحة، فجواز أبى عمروٍ لها يدفع من يصفها باللحن أو يطعن فيها.

وهكذا انتصر الإمام الفاسي – رحمه الله – لقراءة الإمام حمزة " بمصرخيِّ " بكسر الياء ودافع عنها بكل ما أوتى من قوة واستشهد لها بما جاء عن العرب نثراً وشعراً ولهجة سارية على ألسنتهم ، وهو في كل مرة يدفع بها طعناً يضع نُصْبَ عينيه مسألة التواتر التي كانت بتعْدُ تَكِأَةً لكل من أراد الدفاع عن القراءات الثابتة المطعون عليها.

والحق أن تواتر القراءة وحده يكفى في دفع الطاعنين لها إلا أن إمَامَنا الفاسي – رحمه الله – يأبى إلا أن يُثْبتَ صحةَ القراءة لغةً ومعنىً وتفسيراً وسيراً على اللسان العربي حتى يَكْبُحَ جماحَ من يَظُنَّ ضَعْفَها أو يعتقد لحنَها أو يشكّك في تواترها.

المطلب الثاني عشر

دفاع الإمام الفاسي عن قراءة " فما اسطّاعوا " بتشديد الطاء من لفظ " اسطّاعوا "

يقول الإمام الشاطبي – رحمه الله – في فرش حروف سورة (الكهف): –

وَطَاءَ فَمَا اسْطَاعُوا لِحَمْزَةَ شَدِّدُوا *** ..... [١]

قول الله – عز وجلّ – ﴿ فَمَا ٱسْطَـٰعُوا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴾[٢]

قرأ حمزة: بتشديد الطاء من لفظ (اسطاعوا) وقرأ الباقون من القراء بالتخفيف، وقد أشكلت قراءة حمزة بتشديد الطاء على بعض علماء اللغة وسبب ذلك يرجع إلى أن قراءة حمزة فيها جمعٌ بين ساكنين وهما : السين والتاء المدغمة في الطاء "اسطّاعوا" ونسبها بعضهم إلى الخطأ واللحن.

وقد وَجّهَها الإمام الفاسي – رحمه الله – توجيهاً يدفع هذا الإشكال فقال: "والوجه في قراءة من شدد الطاء أنه لما كان الأصل "استطاعوا" واستثقل اجتماع التاء والطاء قلب التاء طاءً وأدغمها في الطاء"[٣].

ثم ذكر الفاسي – رحمه الله – بعض الطاعنين في هذه القراءة وهو الزجاج فقال: " قال الزجاج: من قرأ بذلك فهو لاحنٌ مخطئٌ "[٤].

وهكذا وصف الزجاج من يقرأ بهذه القراءة أنه لاحنٌ مخطئٌ ، وقد دافع الإمام الفاسي – رحمه الله – عن هذا الطعن بما يلى:

---

(١) حرز الأماني ووجه التهاني بيت رقم : ٨٥٨ .
(٢) سورة الكهف من الآية : ٩٧ .
(٣) اللآلئ الفريدة ٣ / ١٤٢.
(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣ / ٣١٢.

أولاً: استشهد بما ذكره الفارسي من توجيه القراءة فقال: " لمّا لم يُمكِن إلقاء حركة التاء على السين لئلا يُحَرَّك ما لا يَتَحَرّك – يعنى أن سين اسْتفعل لا تتحرك أبداً – أدغم مع الساكن وإن لم يكن حرف لين، وقد قرأت القراء غير حرف من هذا النحو. [١]

وهنا نجد أن الفاسي – رحمه الله – يستدل بكلام الفارسي على أن المراد من القراءة التخفيف وليس التشديد كما فهم البعض، وأن كثيراً من القراء يقرؤون بنحو هذه القراءة[٢].

ثانياً: دافع عن القراءة أيضاً بما أنشده سيبويه من شاهد يؤكد جريان القراءة على ألسنة العرب فقال: "وقد أنشد سيبويه فيه" ومَسْحِّى"[٣] يعنى قول الشاعر:

كأنه بعد كلال الزاجر *** وَمَسْحِّى مَرُّ عقابٍ كاسرٍ[٤]

أراد وَمَسْحِهِ" فأدغم الحاء في الهاء بعد أن أبدلها حاءً ، والسين قبل ذلك ساكنة وقد مضى مثل هذا في الإدغام الكبير في﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ ﴾ [٥]، و﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ ﴾ [٦] في قراءة البزي [٧] ، فلا يُخَطَّأُ من قرأ به ها هنا.

والفاسي – رحمه الله – هنا ينتصر لقراءة حمزة بأنها موجودة في كلام العرب وشعرهم، بل والأكثر من ذلك أن هناك من القراء من قرأ بمثل هذه القراءة كالسوسي عن أبي عمرو في باب الإدغام الكبير عند قوله – تعالى –﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ﴾ [٨]

---

(١) الحجة للقراء السبعة ٥ / ١٨١ ، ١٨٢ .
(٢) كقراءة قالون عن نافع " لا تعْدُّوا " بإسكان العين وتشديد الدال . التيسير للداني : ٩٨ .
(٣) الكتاب لسيبويه ٤ / ٤٥٠.
(٤) ينظر البيت الذي أنشده سيبويه في اللسان ٥ / ١٤١ ، والدر المصون ٧ / ٥٥٠ .
(٥) سورة التوبة من الآية :٥٢ .
(٦) سورة النور من الآية :١٥ .
(٧) النشر لابن الجزري ٢ / ٢٣٢ ، ٢٣٣ .
(٨) سورة البقرة من الآية : ١٨٥ ،

حيث أدغم الراء في الراء وقبلها الهاء ساكنة [١] وهى مثل قراءة حمزة : " فما اسْطّاعوا "، وكذا من القراء من يقرأ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ ﴾ [٢]، و ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ ﴾ [٣] بتشديد التاء وهو البزي عن ابن كثير وهى أيضاً قريبة من قراءة حمزة بتشديد الطاء من ﴿ فَمَا اسْطَـٰعُوا۟ ﴾[٤] فكما أن الطاء قبلها سين ساكنة وشُدّدت الطاء بعدها فكذا قرأ البزي بتشديد التاء من الموضعين السابقين وقبلها ساكن وهو اللام من "هلْ" والذال من "إذْ" فلا داعي إذن لإنكارها واستثقالها .

(١) النشر لابن الجزري ٢ / ٢٣٦ .
(٢) سورة التوبة من الآية :٥٢ .
(٣) سورة النور من الآية :١٥ .
(٤) سورة الكهف من الآية : ٩٧ .

المطلب الثالث عشر

دفاع الإمام الفاسي عن قراءة " وكذلك نُجِّى المؤمنين " بحذف النون الثانية وتشديد الجيم

يقول الإمام الشاطبي – رحمه الله – في فرش حروف سورة (الأنبياء): –

وَسَكَّنَ بَيْنَ الْكَسْرِ وَالْقَصْرِ صُحْبَةٌ ** وَحِرْمٌ وَنُنْجِي اِحْذِفْ وَثَقِّلْ كَذِيْ صِلَا[1]

قول الله – عز وجلّ – ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2]

قرأ بن عامر وشعبة عن عاصم كلمة " **نُنجِي** " بحذف النون الثانية وتشديد الجيم " نُجِّى "، وقرأ الباقون من القراء: " ننجى " بنونين وتخفيف الجيم .

وقد ضعَّفَ جماعة من العلماء قراءة ابن عامر وشعبة " نجّى " ووصفها بعضهم باللحن كالزجاج الذى قال: " فأما ما روى عن عاصم من رواية شعبة بنون واحده فلحنٌ لا وجه له ، لان ما لا يسمّى فاعله لا يكون بغير فاعل وقد قال بعضهم: نجّى النجّاء المؤمنين، وهذا خطأ بإجماع النحويين كلِّهم لا يجوز: ضُربَ زيداً، تريد ضُرب الضرب زيداً ، لأنك إذا قلت: ضرب زيد ، فقد علم أن الذى ضربه ضرب ، فلا فائدة في إضماره وإقامته مع الفاعل ورواية أبي بكر بن عياش – يعني شعبة في قوله " نُجِّي المؤمنين " يخالف قراءة أبي عمروٍ نُنْجي بنونين"[3].

وقريب من كلام الزجاج كلام مكى بن أبي طالب والفارسي والعكبري وغيرهم .

وقد دافع الإمام الفاسي – رحمه الله – عن قراءة ابن عامر وشعبة بنون واحدة في " نجّي " ووجّهها توجيهاً حسناً وانتصر لها وخطّأ من نسبها إلى الخطأ ودحض آراء من زعم أن القراءة ليست صائبة فقال:

---

(1) حرز الأماني ووجه التهاني بيت رقم : ٨٩١ .
(2) سورة الأنبياء من الآية : ٨٨ .
(3) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤٠٣/٣.

" وأما من قرأ بنون واحدة وتشديد الجيم فإن أبا عبيد اختارها لأنها في الأمصار، وفى الإمام بنون واحدة، [١] قال ولها مخرجان في العربية: أحدهما: أن الاصل " ننّجى" بجيم مشددة فأدغمت النون في الجيم، والثاني: أن يكون الفعل ماضياً فسكنت الياء وأسند الفعل الى مصدره مع وجود المفعول به. [٢]

ولم يرض الفاسي – رحمه الله – بتخريج أبي عبيد للقراءة فقال: " ورُد على أبى عبيد بان الإدغام في المثقل لا يجوز[٣]، وبأن إقامة المصدر مقام الفاعل مع وجود المفعول به وتسكين الياء مع خفة الفتحة عليها ضعيف[٤]، واعتذر عن رسمه بنون واحدة بأن الثانية ساكنة مخفاة عند الجيم ولما ضيفت حذفت من الكتابة[٥]، أو بأنها حذفت لاجتماع المثلين في الخط فذهب بعضهم إلى أن الأصل " نُنْجى " بسكون النون الثانية وأنها أدغمت في الجيم، وهو ضعيف إذا لم تدغم النون في الجيم في شيء من الكلام بعد مخرجيهما[٦].

---

(١) يعني رسْمُ الكلمة في الأمصار وفي مصحف الإمام – المصحف العثماني – أيضاً بنونٍ واحدة ، وقال مكّي بن أبي طالب :" وكان أبو عبيد يختار القراءة بنون واحدة اتّباعاً للمصحف ، على إضمار المصدر يقيمه مقام الفاعل " . الكشف ٢ / ١١٣ .

(٢) الكشف ٢ / ١١٣ ، ١١٤ .

(٣) السبعة لابن مجاهد : ٤٣٠ ، والبحر المحيط ٦ / ٣١١ .

(٤) قال أبو حيان :" وقد أجاز إقامة غير المفعول من مصدر أو ظرف مكان أو ظرف زمان أو مجرور الأخفش والكوفيون وأبو عبيد ، وذلك مع وجود المفعول به وجاء السماع في إقامة المجرور مع وجود المفعول به نحو قوله :

أتيح لي من العدا نذيرا * به وقيت الشر مستطيرا**

وقال الأخفش : في المسائل ضرب الضرب الشديد زيداً ، وضرب اليومان زيداً ، وضرب مكانك زيداً وأعطى إعطاء حسن أخاك درهماً مضروباً عبده زيداً . وقيل : ضمير المصدر أقيم مقام الفاعل و) الْمُؤْمِنِينَ (منصوب بإضمار فعل أي) وَكَذالِكَ (هو أي النجاء) وَكَذالِكَ نُنجِى الْمُؤْمِنِينَ (والمشهور عند البصريين أنه متى وجد المفعول به لم يقم غيره إلا أن صاحب اللباب حكى الخلاف في ذلك عن البصريين ، وأن بعضهم أجاز ذلك . البحر المحيط ٣١١/٦ .

(٥) السبعة لابن مجاهد : ٤٣٠ .

(٦) الكشف ٢ / ١١٣ ، ١١٤ .

وقيل إن الأصل " نُنّجى" بفتح النون الثانية فحذفت كما حذفت التاء الثانية في " تظاهرون "، وهو ضعيف أيضا لوجهين أحدهما: أن النون الثانية أصل فحذفها بعيد جداً، والثاني : أن حركتها مخالفة لحركة النون بخلاف " تظاهرون " [١].

وهكذا استبعد الامام الفاسي – رحمه الله – توجيه بعض العلماء لقراءة ابن عامر وشعبة نُجّى " وبعد إيراد أقوال العلماء في توجيهها دافع عن القراءة وردّ قول من ضعّفها وانتصر للقراءة مستخدماً وسائل عدة في دفاعه عنها وهى:-

أولاً: تواتر القراءة وصحتها وثبوتها عن أكثر من قارئ حيث قال: " والقراءة صحيحة ثابتة عن إمامين كبيرين وهو يعنى ابن عامر وشعبة – فحاملها على الخطأ مخطئ "[٢].

ثانياً: توجيه القراءة عند أهل اللغة بأكثرَ من وجه واختياره وجهاً رآه الأوْلى فقال:" ولابد من توجيهها ببعض هذه الوجوه، وأولاها عندي أن تكون محمولةً على إسناد الفعل إلى مصدره وتسكين الياء لورود ذلك في القراءة وغيرها.

ثالثاً: وجود نظير للقراءة عند أحد القراء العشرة وهو أبو جعفر وهو من أقوى الأدلة على عربيتها قال الامام الفاسي – رحمه الله –[٣] : "أما القراءة فإن أبا جعفر وهو أحد الائمة العشرة قرأ " لِيُجْزَى قوماً"[٤] .

رابعاً: استشهاده بقراءة شاذة عن الحسن البصرى تشبه قراءة ابن عامر وشعبة فقال[٥]:" وأن الحسن البصرى قرأ " وذروا ما بَقِيْ من الربا"[٦] بإسكان الياء "[٧] .

---

(١) اللآلئ الفريدة ٣ / ١٨٧ ، ١٨٨ .
(٢) اللآلئ الفريدة ٣ / ١٨٨ .
(٣) اللآلئ الفريدة ٣ / ١٨٧ ، ١٨٨ .
(٤) سورة الجاثية من الآية : ١٢ ، وتنظر القراءة في الإتحاف : ٥٠٢ .
(٥) اللآلئ الفريدة ٣ / ١٨٧ ، ١٨٨ .
(٦) سورة البقرة من الآية : ٢٧٨ .
(٧) المحتسب لابن جني ١ / ١٤١ .

خامساً: ثبوت مثل هذه القراءة على اللسان العربي ووجودها في أشعارهم حيث قال الفاسي – رحمه الله – : وأنشد في الأول قول الشاعر:

ولو وَلَدَتْ قُفَيرةُ جِروَ كلبٍ *** لَسُبَّ بذلك الجَروِ الكِلَابَا[١]

وأنشد في الثاني قول الآخر:

هُوَ الخَلِيفَةُ فَارْضُوا مَا رَضِيْ لَكُمُ *** مَاضِي العَزِيمَةِ مَا فِي حُكْمِهِ جَنَفُ [٢]

والإمام الفاسي هنا يحتجّ لما رجّحه من التوجيهات الواردة في القراءة في معرض دفاعه عنها.

سادساً: وصف الإمام الفاسي – رحمه الله – أقوال الطاعنين فيها والمُخطّئين لها بقوله:" القراءة صحيحة ثابتة عن إمامين كبيرين،فحاملها على الخطأ مخطئ"[٣].

ويتلخّص دفاع الفاسي لهذ القراءة أنها متواترة ولا يُلتَفت إلى من لحَّنها، لأنها ثابتة وموافقة للرسم ، وهى كذلك بنون واحدة في المصحف الإمام وكذا مصاحف الأمصار، وهناك من القراء العشرة منٌ قرأ نظيرها كأبي جعفر وغيره ، وعليه فالتقدير هنا: نَجَّى النّجاء المؤمنين فدلّ نُجّى على النجاء، وأسكنت الياء تخفيفاً، وهذا مذهب الكوفيين ،لأنهم يجيزون إقامة غير المفعول به مقام الفاعل مع وجود المفعول به.

---

(١) هذا البيت من قصيدة لجرير يهجو بها الفرزدق، مطلعها:
أقلي اللوم عاذل والعتابا ... وقولي إن أصبت لقد أصابا
وقفيرة: أم الفرزدق .. ذم الشاعر قفيرة بأنها لو ولدت جروا لسبّت جميع الكلاب بسبب ذلك الجرو، لسوء خلقه وخلقه ، والبيت شاهد على أن الكوفيين وبعض المتأخرين أجازوا نيابة الجار والمجرور عن الفاعل، مع وجود المفعول الصريح . ديوان جرير ١ / ٣١ ، وينظر خزانة الأدب ٣٣٧/١ ، واللباب في علوم الكتاب ٣٥٥/١٧ .

(٢) البيت لجرير في ديوانه وهو في الديوان برواية :
هُوَ الخَلِيفَةُ فارْضَوْا ما قَضَى لَكُمُ *** بالحَقّ يَصْدَعُ ما في قَوْلِهِ جَنَفُ
ديوان جرير ١/ ١٧٥.

(٣) اللآلئ الفريدة ٣ / ١٨٨ .

الخاتمة

بعد قراءة ودراسة حول كتاب (اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة) للإمام أبي عبد الله الفاسي، وبعد الاطّلاع على قضايا دفاعه عن القراءات المتواترة المطعون عليها لاحَ لي في الأفق بعض النتائج التي توصل إليها هذا البحث وهي :_

١- أن القرآن الكريم بقراءاته المتواترة بلغ الغاية في الفصاحة والبلاغة والإتقان ، ولا ينبغي لأحدٍ من البشر أن يمسّ فصاحته أو أن ينال منه لأمرٍ لغويٍ من وضع البشر.

٢- الإمام الفاسي – رحمه الله – جمع في شرحه (اللآلئ الفريدة) ما لم يجمعه غيره من شرّاح قصيدة (الشاطبية) للإمام الشاطبي – رحمه الله – وقد اهتم اهتماماً شديداً بقضية الدفاع عن القراءة المطعون عليها ، واستخدم كل أدوات الدفاع عن القراءة بأسلوب علميٍ دقيق ، ولم يكن انتصاره للقراءة المطعون عليها اعتباطاً ، وإنما وثّق – رحمه الله – دفاعه بالأدلة والبراهين التي تثبت صحة ما ذهب إليه .

٣- أن الإمام الفاسي – رحمه الله – كان ينتصر للقراءات المتواترة انتصاراً كبيراً، ويدافع عنها مستدلاً بما ورد عن العرب شعراً كان أو نثراً، كذلك جعل تواتر القراءة العمدة عنده في كل شيء، إذ القراءة متى تواترت وثبتت فلا ينبغي أن يطعن فيها، فالقراءة حجة على العربية وليست العربية حجة على القراءة .

٤- أن أهل اللغة جعلوا القرآن الكريم مادتهم الرئيسة يستقون منها مادّتهم ويبنون عليها قواعدهم فكيف يطعنون في بعض قراءاته وهو الأساس الذي بنوْا عليه هذه القواعد .

٥- أن اللغة العربية آفاقها واسعة، ومدارجها متعددة، وأساليبها مختلفة ، فما يراه بعض أهل اللغة غير جائز عندهم يراه البعض الآخر غاية في الفصاحة والبيان .

٦- اللهجات العربية كثيرة، وألسنة القبائل العربية لا تحصى ، وما يكون شاذاً عند أحدهم يكون فصيحاً عند غيرهم ، فالحكم على القراءة بالضعف أو نسبتها إلى

الغلط أو وصفها بأنها غير مسموعة من أحدٍ من العرب أمرٌ لا يليق أبداً بكتاب الله – عز وجلّ – .

٧- قضايا الدفاع عن كتاب الله – عز وجلّ – من أهم وأشرف القضايا التي ينشغل بها الباحثون، فما أجمل أن تكون قضيتك الانتصار للقرآن الكريم، والذبّ عن حياضه ، وإثبات صحة وجواز ما ينكره الطاعن على القراءة أو الذي يصفها باللحن والضعف .

٨- أن شروح (الشاطبية) ، وكذا شروح (طيبة النشر) للإمام ابن الجزري – رحمه الله – مادةٌ علميةٌ دسمةٌ ينبغي على الباحثين أن يتزودوا منها ، وينهلوا من مائها العذب ، ويتناولوا قضاياها بالبحث والتنقيب عن كنوزٍ علميةٍ أصيلةٍ ، تكون لاحقاً نواةً للطلاب والباحثين .

أسأل الله القدير أن يجعل ما صنعت في موازين الأعمال

يوم لا ينفع البنون والأموال .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس أهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم ، واعتمدت في ذلك على المصحف المضبوط على رواية حفص عن عاصم .

١- إبراز المعاني لأبي شامة– طبعة: دار الكتب العلمية – بدون تاريخ.

٢- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للبناء الدمياطي – تحقيق: أنس مهرة – الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان – الطبعة الثالثة – ٢٠٠٦م – ١٤٢٧هـ

٣- الإتقان في علوم القرآن – المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) – تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم – الناشر– الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة الاولى – : ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م .

٤- إعراب القرآن – المؤلف: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ) – وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم – الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ .

٥- الأعلام لخير الدين الزركلي – الناشر دار العلم للملايين – الطبعة الخامسة عشر– ٢٠٠٢م ، وطبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي ٣٩٨/٩– تحقيق د/محمود محمد الطناحي .

٦- البحر المحيط – المؤلف : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي دار النشر : دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م – الطبعة : الأولى – تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض ، ود: زكريا عبد المجيد النوقي ، و د:أحمد النجولي الجمل.

٧- البداية والنهاية للحافظ ابن كثير – الناشر: دار الفكر – عام النشر: ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م .

٨- البرهان في علوم القرآن – المؤلف : أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) – المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم – الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧م – الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه (ثم صوَّرته دار المعرفة، بيروت، لبنان – وبنفس ترقيم الصفحات) .

٩- تذكرة الحفاظ للذهبي – الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م .

١٠- التحرير والتنوير لابن عاشور–دار النشر : دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧ م.

١١- تفسير ابن كثير – طبعة دار طيبة للنشر– ط الثانية ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م، تحقيق: سامى بن محمد سلامه.

١٢- التيسير في القراءات السبع للحافظ الداني – طبعة دار الصحابة للتراث – طنطا، ٢٠٠٢م، تحقيق: جمال محمد شرف.

١٣- الجامع لأحكام القرآن – المؤلف : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١ هـ) – المحقق : هشام سمير البخاري – الناشر : دار عالم الكتب ، الرياض ، المملكة العربية السعودية – الطبعة : ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.

١٤- حجة القراءات – المؤلف: عبد الرحمن بن محمد ، أبو زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي ٤٠٣هـ) – محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني – الناشر: دار الرسالة .

١٥- الحجة للقراء السبعة لأبى على الفارسي – طبعة دار المأمون للتراث بيروت – الطبعة الثانية: ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م – تحقيق بدر الدين قهوجي وآخرين.

١٦- الجواهر المضية في طبقات الحنفية لمحيي الدين الحنفي – الناشر: مير محمد كتب خانه. كراتشي – بدون تاريخ .

١٧- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي – طبعة مكتبة الخانجي– القاهرة – ط الرابعة ١٤١٨هـ– تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون.

١٨- الخصائص لابن جني – الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة: الرابعة – بدون تاريخ .

١٩- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون – المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ) – المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط – الناشر: دار القلم، دمشق .

٢٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – المؤلف : محمود الألوسي أبو الفضل – الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٢١- السبعة لابن مجاهد – تحقيق: شوقي ضيف – الناشر: دار المعارف – مصر – الطبعة الثانية: ١٤٠٠هـ .

٢٢- السلسلة الصحيحة للألباني – الناشر: مكتبة المعارف – الرياض – الطبعة الأولى – ١٤١٥هـ–١٩٩٥م .

٢٣- سنن ابن ماجه – طبعة دار الرسالة العلمية – بيروت – ط الأولى – ١٤٣٠هـ – تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون.

٢٤- سنن ابن ماجه – طبعة دار الرسالة العلمية – بيروت – ط الأولى – ١٤٣٠هـ – تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون.

٢٥- السنن الكبرى– المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) –المحقق: محمد عبد القادر عطا – الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان – الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م .

٢٦- سنن النسائي – طبعة مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب– ط الثانية – ١٤٠٦هـ–١٩٨٦م، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة.

٢٧- سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني – الناشر: مكتبة المعارف، – الرياض – الطبعة الأولى – ١٤١٥هـ–١٩٩٥م .

٢٨- سير أعلام النبلاء – تحقيق: مجموعة من المحققين – إشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط – الناشر: مؤسسة الرسالة – الطبعة: الثالثة – ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م.

٢٩- شواذ القراءات للكرماني – تحقيق د/ شمران العجلي – الناشر: مؤسسة البلاغ – بيروت – بدون تاريخ .

٣٠- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري– تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار – الناشر: دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

٣١- صحيح البخاري= الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه – المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي – المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر – الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) – الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .

٣٢- صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم – المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) –المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي – الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٣٣- غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري – الناشر – مكتبة ابن تيمية – عنى بنشره أول مرة برجستراسر عام ١٣٥١هـ .

٣٤- فتح الوصيد في شرح القصيد للسخاوي– تحقيق د/ مولاي محمد الإدريسي الطاهري – الناشر: مكتبة الرشد – بدون تاريخ .

٣٥- الكتاب – المؤلف: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ) – المحقق: عبد السلام محمد هارون – الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة – الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

٣٦- الكشاف للزمخشري – الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – بدون تاريخ – تحقيق عبد الرازق المهدي .

٣٧- كشف الظنون لحاجي خليفة – الناشر مكتبة المثنى – بغداد – ١٩٤١م.

٣٨- اللآلئ الفريدة في شرح القصيدة للإمام أبي عبد الله الفاسي – تحقيق الشيخ عبد الرازق علي موسى – الناشر: مكتبة الرشد – الرياض – الطبعة: الأولى – ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .

٣٩- اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي – طبعة دار الكتب العلمية – بيروت– ط الأولى ١٤١٩هـ–١٩٩٨م، تحقيق الشيخين: عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ على محمد معوض.

٤٠- لسان العرب لابن منظور– طبعة دار صادر– بيروت – ط الثالثة، ١٤١٤هـ، بدون تحقيق .

٤١- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جنى – طبعة وزارة الأوقاف– المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م.

٤٢- مسند أبي يعلى لأبي يعلى الموصلي – المحقق: حسين سليم أسد – الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق – الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ – ١٩٨٤ م.

٤٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل

مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي – الناشر: مؤسسة الرسالة – الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م .

٤٤- معرفة القراء الكبار للذهبي – الناشر : دار الكتب العلمية – الطبعة الأولى ١٤١٧هـ –١٩٩٧م .

٤٥- النشر في القراءات العشر لابن الجزري – طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الثانية ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م، تقديم الأستاذ/ على محمد الضباع.

٤٦- الوافي بالوفيات للصفدي تحقيق : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفي – الناشر : دار احياء التراث – بيروت – ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م .